مجلة وأسرة وقضية

١-١-١٩٤٢ - ١-١-١٩٨١

بقلم الياس خليل زخريا

* * *

الاربعون

كأنهن لمح الثواني في عقارب الزمن على مقاطع الميناء

كأنهن الامس ، قبيل الامس ، ها هنا ، في البارحة على فتحات العتبة ومساحب الستائر ،

كأنهن حكاية ، بعض حكاية ، من خواطر الذهن في كتاب المعرفة ،

كأنهن هدب تتنفس في هدب ، وقطوف تتزاحم في قطوف ،

كأنهن ضوء ينصهر في ضوء ، وسحب تنجذب في سحب ،

وريح تلتف على معالم دروبها التفافا تنطلق في سفوحها ومصاعدها انطلاقا ، ثم تهدأ ، ثم تهب هبوبها بين قبضات يديك واطراف اصابعك .

* * *

وكان ما كان ..

وخرج ذلك المغامر المسافر من قمقم القلق، وارصفة الشوق ، واروقة الاغتراب ، الى محطة المواسم والعزائم وفصول الملاحم ،

وولدت « الاديب » هذه الاعجوبة « الاديب » .

(١ - ١ - ١٩٤٢)

وجسدها صاحبها على الابداع من نفسه في نفسه تجسيدا .

وكون اسمها على اسمه تكوينا عنيدا، ورسم اطارها على الجانبين ، على وقار نظارتيه ووضوح جبينه كما يرسم الجديدان الجديدين ، فلا الليل بليل ولا البياض ببياض ، ولا الورق بورق ، ولا الخط الاحمر على الخط الاسود على نافذة الحكمة ، بخط يجف جفافه ، ويبهت بهته ، ويتغير تغيره او تتحطم فيه زواياه واقواسه والوانه ورموزه ورموز رموزه .

ولا عجب ..

فالقضية عند البير اديب في رؤية القومية هي القضية

والثبات في معركة النضال هو الثبات

والصلاة في كتاب الابتهال هي الصلاة

والحرمان في عفة النفس هو الحرمان

والبخور هو البخور

وباب المعبد هو القنطرة الى عمق الاعماق وبعد الابعاد

فلا اغواء ، ولا اغراء ، ولا تشويق ، ولا ارتهان

الكلمة هي قدسية الكلمة

والطريق هي منهجية الطريق

والرسالة هي انسانية الرسالة

* * *

وفي الاديب ولدت « اسرة » الاديب

سبعة في الف الف

لا كبرياء ولا ادعاء ولا عنجهية

نقرأ ، ونفكر ، ونتأمل ، ونتبصر، ويعانق القلم القلم ويرنق الجناح في الجناح ،

عقد تشتد في عقد

عرى تتماسك في عرى

وود كأنه المسك في جمر المواقد

واستقلالية منيعة حصينة تعطي ولا تجنح ، وتهدي ولا تجرح ، وتعلم ولا تضن ، وتناضل ولا تلين ، وتشق في كل باب من ابواب العقل وفي كل معراج من معاريج الصدور طريقا الى الخصب وبيادر المواسم ، ووطنية الوطن ،

ناكل قبل ان نجوع

نرتوي قبل ان نعطش

نعطي قبل ان تنفد من ضلوعنا بذور الحب وبذور المودة

* * *

كان البير اديب صاحب المجلة ومنشئها ، ينظم ، ويقرر ، وينسق، ويؤنق ، ويفتح باب الصفحات على سواد الحروف ،

كل كلمة لها في عينه عين

وكل خط له في قلمه سحبة خط

قلبه على رقة قلبه

ونثره في بلاغة نثره

يملك في مملكته على سلطان التفرد تاجه وصولجانه

وهو المتون والهوامش وعنوان العناوين ، ونقطة البداية في نقطة النهاية ،

ونحبه كما هو ، ونطرب فيه على عذوبة عذوبته المصرية السودانية الديرانية، وطربوش احمر كالقرميد من الدير الشوفي في قلب الجبل القديم .

اذنه لها اناقة النغم ، وعينه لها دقة التأمل ، ونفسه لها رقة السخاء ، ورأيه له مقومات الرأي وشجاعة الاقناع وجراة التصدي ، وحياته سلسلة من فصول الشباب في ريعان الزهو .

وينظم الشعر ، اول من نظم الشعر الغني في الوزن المطلق ، لم يتقيد بقافية ، ولم يلتزم بوزن ، لم يهرب من اطار اللحن في تناسق الوتر .

واحببناه كما هو ، وقاسمناه عيشه وليله ونهاره .

* * *

كان عبد الله العلايلي شيخ المشايخ في جبته المعجمية ولفته الازهرية ، ضابط الضوابط على الابداع وسليقة النقد ، وروح العفوية وثورة التحليق والتدقيق، ونزوة من نزوات القيادة ، يكتب في القومية وعلم العلوم واطر المجتمع وخلاصات الدفاتر وقليل من الشعر وقليل قليل من الخواطر في محاسبة الذات .

* * *

وكان نقولا فياض الشاعر الكاتب الطبيب الخطيب يطل علينا بجبهته البيروتية الارستقراطية ، نازل من جبل الاشرفية الى ساحل سواحل البرج وباب ادريس ، تكريم يزدحم في تكريم ، وتحية تحتشد في تحية ، ثم يجلس فتتبسط ايامه اللبنانية في ذكرياته المصرية ، ويصب كلماته بهدوء وفرح وزهو كأنها ذهب في قمقم ذهب وفضة في شفاه فضة واتزان ورصانة .

ثم يتغير به الزمن في اطراف شيخوخته فتميل يمينه على يساره ويحدو حدوه في ثلج الشمال على ستائر المجهول المنتظر .

* * *

وكان محمد علي الحوماني ، الشاعر الجنوبي المتمرد على جنوبه وشماله ، طرفة الطرائف في حلقات الاسرة ومجالسها الصاخبة .

شعره في اصوليته ورنين موسيقاه ونهجية منطقيته رماح على رؤوس رماح ، وخناجر في رؤوس خناجر ، ودبكة تنقر وجوه السياسيين ، تنقر عيونهم تنقيرا ، وغزله المضمخ الملطخ حكايات مواعيد وشهوات حفر واخاديد .

واذكر فيما اذكر كيف ان فتاته ابنته نفسها ضربت له بهاتفها وبالتآمر مع الاسرة تحت سماكة حجابها وامتشاق قدها ومرونة ذكائها موعدا على رصيف حديقة الصنائع للتغازل والمغازلة ، وكيف ان شاعرنا الجليل عاد الينا بعد رفع الحجاب وغبار الخيبة على سدارته البغدادية وجلال عباءته ومرارة نفسه وكيف ان هذه الحكاية خرجت من مزاحتها وظرافتها الى قصة في شعره .

رحم الله الحوماني ما كان احبه الى النفس واغناه .

* * *

وكان نور الدين بيهم الوكة مخطوطة من اوراق التاريخ من المكتبة اللبنانية الوطنية يكتب بسهولة اسلوبه وعبارته كتابة المتمهل المتراصن ويروي من ذاكرته وتحقيقاته روايات القدماء ولا سيما الاسر البيروتية والامراء وزيارات الملوك وبيوت الوجاهة والنفوذ والزعامات الهاربة من زحمة المتقدمين .

ويتحدث دون مقاطع الاحاديث وقد يبحث في القضية ، وقد يعظ ولكنه لم يكن بالواعظ المرشد ولا بالباحث البحاثة .

كان يرى كل شيء في الحياة هذه المسافة بين المكتبة الوطنية ودار الاديب في باب ادريس وبيته في جبل النار وكنا نسمي جبل النار البسطة الفوقا والبسطة التحتا .

ولعل خير ما اذكر هو ان نور الدين بيهم لم يدخل مرة مجلس اسرة الاديب الا وقد تابط خيرا ، ادبية جديدة حلبية او دمشقية او بغدادية او مخطوطة جديدة او كتابا في التاريخ جديدا او خبرا من اخبار هوامش التاريخ في مدينة التاريخ بيروت .

وكثيرا ما كان نور الدين بيهم في سياسة المجلة العليا جسرا بيننا وبين الزعماء السياسيين ولا سيما زعماء العاصمة .

* * *

وكان ايضا صلاح الاسير الشاعر الكاتب في احيان كثيرة واحدا من افراد الاسرة ينشر شعره ونثره ويجلس في التهيب وغير التهيب على مصاف الحلقة . قلمه معطاء وان كان مقلا في غزارته واسلوبه ابتداع الحكاية وخلق الرواية والتأنق وزرع الصور وشتات الافكار .

وهو منطبع انطباعه في رمزيته وتخيلاته يفتش هنا وهناك بحرارة المؤمن ودفء الشباب عن شخصيته في الشعر والنثر والمجتمع .

وخرج صلاح الاسير من نفسه على تيارات عصره وضاقت به نفسه فقيل انه اقدم على طعنها بيده ضجرا منها. كما قيل انه قفز الى الموت منتحرا انتحاره .

والادب ، وصناعة الادب ، هما شيء قديم من الانتحار .

* * *

وكان الياس خليل زخريا ، وكنت انا ، كما كنت ، ولن اتحدث هنا عن كيف كنت .

اربعون عاما وبعض العام وصاحبنا في « الاديب »

ما انقطعت به غربة ولا نات به دار ولا فترت بينه وبين صاحبها ومنشئها حرارة الالفة وصفوة الاخوة وسماحة الايمان ، وقضية القضايا في مقاييس الحق والجمال .

★ ★ ★

ونمت الاسرة في مناخاتها ومواسمها ووفرة غلالها وبسطة نفوذها نمو الروعة ونمو اليقظة ونمو الاستقلال .

وتفرعت الاسرة فروعا تتعالى على فروع ، وقبابا تسمو على قباب ، واقلاما من اطراف المشرق الى اطراف المغرب ، والوانا تزدحم في الوان ، واذواقا تتشابك في اذواق .

خمسمائة قلم وقلم في خمسمائة مجلد ومجلد في الاداب والعلوم والفنون والسياسة والاجتماع .

حصاد قديم وحصاد جديد ونشوء في تفتح عبقرية وتنمية موهبة وانطلاق مكبوت واكتشاف مجهول ومد الاجنحة على الدنيا حيث زهت هذه الابجدية العربية من بطحاء الثلوج الى خطوط الاستواء الى ابعد فابعد الى كل زاوية من زوايا هؤلاء العرب الذين يضيعون كل يوم من شخصيتهم كنوز الشخصية .

اي قلم عربي ،

اي قلم مستعرب ، لم يطل من « الاديب » اطلالته ولم يغرد تغريده ، ولم ينشد انشاده ، ولم يبحث بحثه، ولم ينحت نحته ، ولم يستشرق استشراقه ، ولم يغرب غروبه ، ولم يبن في الطموح اسمه على حروف عناوينها وتسلسل فهارسها ، ودفات ميازينها .

ولا غرو فقد نشأت « الاديب » حرة مستقلة على الابداع وفصاحة الابداع يوم لم يكن في الدنيا العربية بعد دولة واحدة حرة مستقلة .

وهي طليعة الطلائع ، ورؤيا المتقدمين ، وحلم المتحررين ، وميدان الحضارة في حضارة الطامحين .

والحرية ما الحرية الا كلمة وقلم .

وان الذين يظنون ان الامة ان الدولة ان الانسان كل الانسان ، تراب وحدود وبعض رصاص على بعض حديد هم الذين يعيشون في ابواب الهيكل على ارصفة المعر .

وبعد ها هي « الاديب » بعد اربعين عاما وقد غاب في الموت من اسرتها من غاب ، وتفرع من فروعها من تفرع ، وامتد من رسالتها من امتد ، وبقي على هموم الشيخوخة من بقي ، تسأل وقد ناءت بها الاربعون على اثقال الاثقال ، وتضحية التضحية ، اين هم ، اين هن ، اولئك الاقلام في اربعين دولة عربية ودولة .

لقد اقتحم صاحبها منشئها وحده ابواب الشيخوخة وهموم العمر وعجز النظر ،

اين هو الرعيل الذي نسلم اليه عصا الراية

اين هي الاقلام التي تحمل التراث الى التراث

والفداء الى ابراج الفداء .

وحذاريك ، حذاريك

لا استنجادا ولا استغاثة ولكنه زجر على قساوة الزجر ، وتأنيب على صلابة التأنيب ، ويقظة على نخوة اليقظة .

ايها القارىء العزيز ان الشيخوخة في العمر هي التمهيد في المداخل الى ابواب الموت هنا في لبنان في الدنيا العربية وفي كل دنيا .

وان عظمة هذه المجلة هي ان تظل انت عظيما في استمرارك .

وبعد ، لقد قرأت امس ان بعض الدول العربية رصدت ملايين الملايين لشراء الاسلحة وصناعة الاسلحة .

اللهم ،

عفوك اللهم ، لقد انفق البير اديب من عمره من حبات عمره اربعين عاما وعاما لتسليح هذه الدول بحراب العقل وسيوف القلوب ودروع الحرية .

اللهم ،

عفوك اللهم ، ان القوة كل القوة ، ان الجمال كل الجمال ، ان القضية كل القضية هي في قلم يكتب وقارىء يقرأ ويتأمل ويحمل في ضميره في خلجات ضميره على شموخ جبهته ومناعة شيخوخته زوايا الارض واعمدة السماء .

الياس خليل زخريا

"الأديب" بعيد ميلادها الـ ٤٠

عواطف الحب من شوق وتحنان ... وباقة من جنى روح وريحان
ومن لبانات اوطار تعاودني ... اطيافها بعد ازمان وازمان
تلوح لي في صحاري الذكريات كما ... لاح السراب بصحراء لظمآن
من كل ما يستثير النفس يبحث في ... آفاقها هائمات فوق اجفاني
من ذوب كل ابتساماتي ومن قبلي ... من عاطفاتي ومن اعماق وجداني
ازف احلى التهاني «للاديب» ولي ... بعيد ميلادها اعطاف جذلان
الاربعون تقضت وهي حافلة ... بالمعطيات وكانت خير برهان
بانها رمز اقسى التضحيات ومن ... ثباتها رغم اجحاف وحرمان
اسنى دليل على ان البطولة لا ... بالسيف بل باليراع الهادف الباني
او البطولة في سيف وفي قلم ... هما كما تشتهي العلياء صنوان

سفيرة الادب العالي تمثله ... في الشرق والغرب في قاص وفي دان
احنى عليها وغذاها بمهجته ... بضوء عينيه هذا الراهب العاني
ابو «الهدى» والايادي البيض شاهدة ... على المضي باصرار وايمان
اخي ايوب هذا العصر اكثره ... صبرا لجهدك جهد باذخ الشان
وهبت عمرك لم تبخل بزهرته ... حتى بروض ندي الظل ريان
انت الجواد الذي بالسبق ليس له ... ند فكم جال في ساحات ميدان
تحيي لياليك لا تشكو اواخرها ... بوركت من ساهر للبحث يقظان
فيها نديماك قرطاس ومحبرة ... لا كالمنادم في الليل ابنة الحان
بنات فكرك احلى من تسامره ... هن البدائع من ابداع فنان
وانك القمة المرموق جانبها ... قد جل عن كل اشباه واقران
انت المحيط الذي لا زال غامره ... يجري بفيض هدايات وعرفان
رغم الاعاصير والانواء ثائرة ... على محيطك ، دوما خير ربان
وانت في الشرق من اعلى منائره ... بنوره هدي بحار وسفان
وانت في سفره المجلو منفرد ... عنوان فضل فدم يا خير عنوان
انت الحبيب الذي ما زال يمنحني ... من حبه الجم ما يضفي ويرعاني
رغم الفراق وان طالت مرارته ... كفر اذا كنت انساه وينساني
سقيا لايام بيروت التي افلت ... بعارض من ضروع المزن هتان
متى يعود تلاقينا فاوسعه ... حمدا متى تنجلي بالقرب اشجاني
ما كنت احسب ان الذكريات اذا ... ثارت بقلب المعنّى نهش ثعبان
عيد «الاديب» لنا عيد نسر به ... فاسلم لها ولنا يا فخر لبنان

بغداد : ص.ب ٤٦٧
باقر سماكة

مجلة الأديب في جهادها الصامت



تحية للأخ الحبيب ـ الاستاذ البير اديب

بقلم الدكتور محسن جمال الدين

* * *

يوم ان تسجل للصحافة اللبنانية صفحات مشرقة من الكفاح ، والنزاهة ، والصبر ، والمثابرة ، والعمل الدؤوب والمسيرة المتواصلة ، والبعد عن الصخب والمباهاة والاخذ بيد الناشئين ، وتقدير البارزين ، واحترام العاملين ، في حقول الادب ، والمعرفة ، والانسانية . تأتي مجلة (الاديب) الزاهرة ، في طليعة تلك الصحف والمجلات ، التي يفخر بها تاريخ لبنان الثقافي ، وتعتز بها صفحة الثقافة العربية على الصعيدين المحلي والعالمي .

فما زرت مكتبة تحترم نفسها وقراءها ، الا وجدت (الاديب) بحلتها البيضاء الزاهرة ، وبالوانها الزاهية ، كانها من الوان العلم العربي الخفاق .

ففي لونها الابيض : الصفاء والنقاء والاباء والعزة ، والترفع عن المادة والاستخذاء .

وفي لونها الاحمر : الدماء التي اريقت من شرايين صاحبها ، وهو يعتصر الفداء الروحي لها ، من دماء قلبه ، ونور نواظره ، ويحوله زيتا لمصباح الفكر ، وضياء المعرفة . لمواصلة (الاديب) واتمام رسالتها ، وسير حركتها . للوصول الى اهدافها السامية ، في الحرية ، والكرامة ، والانسانية ، والعزة القومية ، وتحقيق الذات العربية التي يجب أن تحتل منزلتها في العالمين الشرقي والغربي .

اقول : ما دخلت معهدا محترما ، ولا مكتبة عامرة ، لمؤسسة علمية ، او شخصية ادبية ، الا ووجدت (الاديب) في حلة عرسها النضرة ، وفي ابتسامات صفحاتها المشرقة ، وفي كلمات حكمتها الهادئة ، تبدو على أول صفحة من غلافها ، وفي غلالة جمالها الادبي البديع .

اما اللون الاسود : في قاعدة غلافها فهو مداد المحابر التي اريق حبرها ، في يراع الكلمة الهادفة ، النافعة ، تحت سواد الليل ، وجنح الظلام ، كي يطلع بعده النور البسام الوضاح ..

ترى ما سر جمال (الاديب) ، وما هي قوة عظمة ثباتها واستمرارها ؟

السر يكمن في شخصية مؤسسها ، ومنشئها ، ومحررها ، وصاحبها ، وصديقها المخلص لرسالتها ، الاخ الجليل الشاعر الحر الاستاذ الكريم (البير اديب) الذي له افضال على كل من نشر وساهم في (الاديب) منذ اربعين عاما تزيد او تنقص .

فكم اشهر شعراء كانوا مجهولين ؟!

وكم اخذ بيد ادباء كانوا مغمورين ؟!

وكم شجع كتابا كانوا مبتدئين ؟!

وكم أحيا ذكرى اناس كانوا منسيين ؟!

لم يتعرف اليه انسان وفي لاول مرة ـ الا ورجع ـ منه صديقا ، مخلصا ، مقدراً لمكانته واخلاقه ، وطيبة قلبه . وربما شذ عن هذه القاعدة بعض الناكرين الجاحدين ، الذين عناهم الشاعر العربي بقوله :

اذا انت أكرمت الكريم ملكته وان انت اكرمت اللئيم تمردا

كم ضحى بماله ، وراحته ، ومكتبته ، ومدخراته في سبيل (الاديب) ؟

وكم ارسلها مجانا لاناس كثيرين ، ومشتركين عديدين دون ان يطالبهم يوما بدفع بدل الاشتراك ، او يشير اليه تلميحا او تصريحا ، في مختلف الظروف والاحوال !!

وكم قاسى من اهوال الحرب الثانية ومتطلباتها ، ومن الحرب الاهلية اللبنانية ومآسيها ، دون ان يضع القلم ، او يترك المنزل ، او يهرب من خط النار القريب منه ، او من ميدان معركة الصحافة اللبنانية ـ كما هرب غيره .

وهو لم يبدل مبدأه الادبي ، ولم يغير معتقده السياسي ، ولم يساوم على حساب حرية (الاديب)

ومنهجها وخطتها ، وما ينشر او يسطر فيها . في حين نرى كل يوم كم مجلة في لبنان او غيره من الاقطار العربية قد غير اصحابها خططها واغلفتها وصورها وموادها لظروف محلية طارئة ، او لسوق موسمية رائجة . وظلت (الاديب) بجميع ما كان قد اعترضها ويعترضها الان ، معتزة بكبريائها ، وابائها ، وشممها ، وقدسية الكلمة والحروف ، التي تنشرها على صفحاتها .

ترى ما هي حصيلة جهاد (الاديب) المادية ، طيلة هذه السنوات ؟

اين هي العمارات والبنايات والارصدة التي يمتلكها مؤسس (الاديب) الاستاذ البير اديب ؟ كما امتلكها غيره خلال سنوات قصيرة ؟

ثم كم هي ثروته اذا قيست بثروة الآخرين ؟

انه لا يملك الا ثروة من العزة ، والكرامة ، والشمم ، والاباء ، والتضحية ، والكرم .

كم من مؤتمرات وندوات عقدت في الوطن العربي ، وغيره من بلاد العالم . فدعي اليها صاحب (الاديب) . ولكنه لم يلب النداء والدعوة ولم يحضرها ، لا لترفع عن حضورها ، ولكنه يعلم ان اكثرها لا طائل تحته ، لكثرة ما يدور فيها من كلام ، ومجاملات ، وحديث ، وقلة ما فيها من جدية ، وعمل ونتائج .

لم يترك داره ومجلته في (بيروت) طيلة اغلب هذه السنوات ، الا لعلاج من مرض ، او زيارة لصديق ، او دعوة لفرح ، او مواساة بمصاب . هو لم يجعل مجلته مصيدة للمال ، او طريقا للجاه ، او واسطة للوظيفة .

فهو قد ملك المال وانفقه في سبيلها .

ولا حاجة له بالجاه لانه يمتلكه .

ولا غرض له بالوظيفة لانه جربها .

فيما رأينا غيره من ارباب الصحف والمجلات ، يسارعون لزيارة البلدان ، في مواسمها السياسية والادبية ويحملون معهم دفاتر الاشتراكات ، وقسائم الاعلانات ، والحصول على التبرعات .

وهم يتفاخرون بذلك ، ويريقون ماء وجوههم من اجله .

ان ثروة الاستاذ الكبير (البير اديب) تتلخص فيما عنده من ثمار عالم الفكر والادب والعرفان .

وان ثروة الاستاذ البير اديب بما لديه من اخوة ، واصحاب ، وانصار ، ومحبين ، ومقدرين ، ومعجبين .

وان ثروة الاستاذ البير اديب بما عنده من وثائق ادبية لعشرات الالوف من الرسائل ، لكبار الادباء ، والشخصيات السياسية والعلمية في العالم العربي وخارجه .

وحبذا لو تالفت لجنة من اسرته المحترمة ، ومن اخوانه الفيورين ، لفرزها ، وتنظيمها وتبويبها . وتتولى احدى دور النشر اللبنانية او العالمية اخراجها . وفيها رسائل لكبار الكتاب ، ولاشهر الشعراء ، الذين طوتهم يد المنية ، او الذين ارتقت بهم الحياة الى اعلى مراتب الدولة ، فاصبحوا وزراء وقادة ومسؤولين ؟!

هذه فكرة جالت في خاطري ، وانا اكتب هذه المقالة . ارجو ان تتحقق قريبا . وأن يعتني الاستاذ الجليل الاخ البير اديب بجمع ما كتب ، وبضم ما الف وبتنظيم ما تبعثر .

والآن .. ما هو واجب الصحافة العربية في تكريم (الاديب) وصاحبها ، وما هو واجب الاقلام المخلصة ، في الاشادة بجهاد مؤسسها ورئيس تحريرها ؟

وما هو واجب الشعراء في وصف اعمال القائم على شؤونها ، وجهاده المستمر لخدمتها ؟

وما هو واجب وزارات الاعلام والثقافة ، في الوطن العربي نحو تكريمها ومساندتها ؟ انما هي واجبات كثيرة يعرفها من يقدر (الاديب) حق قدره . ويعرفها من رفع (الاديب) من ذكره وشانه . ويعرفها من ساهم الاديب في نشر نتاج قلمه ، واعطاء صورة طيبة عن بلاده . يوم ان كان حامله صغيرا ناشئا ، ووطنه منسيا محاربا .

وبتحسس حالها ، من عرف ان (الاديب) لم يبخل يوما في تقديم ثمرات الادب العربي القديم والمعاصر ، يطبق من غذاء الفكر ، وبسلة من ازاهير النثر والشعر، الى اروقة الجامعات العالمية ، والى نوادي الثقافات العربية ، والى مكتبات الدوائر العلمية ، والى دواوين الحكومات الرسمية .

يقدمها بلا ضجة ولا تفاخر ، ويعطيها بلا مقايضة، كالتي تعطى في حوانيت المتاجر ، او في نوادي السياسة والتآمر .

وهذا شأن (الاديب) منذ سارت هذه الاشواط الطويلة من عمرها المديد . وقد قاربت النصف من القرن وهي قائمة في عالم الحياة الادبية المعاصرة اليوم في لبنان، والعالم العربي ، مرفوعة الهامة ، ذات عزة وكرامة . والعالم العربي ، مرفوعة الهامة ، ذات عشرة وكرامة . لا تزعزعها الاحداث الدامية ، حيث الحروب والقتال ، والاطماع الاستعمارية ، التي تسير بالامة العربية ، نحو التباعد والتباغض والتفرقة والمجافاة ؟!

كم كتبت (الاديب) عن احداث الوطن العربي ، وكم نشرت من دراسات مبتكرة نافعة ، عن حياة رجال الامة العربية في ماضيها البعيد ، وحاضرها القريب !

وكم ربطت بين ابناء العالمين المشرقي والمغربي ؟

وكم حنت بمحبة وتقدير ، وتشجيع ومفاخرة، بادب الاخوة الاعزاء من المهجريين العرب . واشادت بآدابهم، ونشرت أشعارهم وقصصهم ، ونقدهم، ونتاجات افكارهم في برقياتها الادبية الطريفة !!

فعرفنا عن طريقها اسماء بعض شعرائهم ، وكتابات

بعض كتابهم ، الذين تكن لهم كل تجلة ، واعجاب ، ومحبة ..

وعن طريقها راسلناهم وراسلونا ، واحببناهم واحبونا ، وصادقناهم وصادقونا .

ولم يقتصر الامر عليهم وحدهم ، بل تعداهم الى كل ابناء العروبة من محيطهم الى خليجهم ، ومن جزيرتهم الى سواحل وشواطىء وسهول وجبال بلدانهم .

والى كبار المستشرقين ، واساتذة الجامعات الشرقية والاوروبية .

كل هؤلاء وغيرهم كانت (الاديب) هي الحمامة الزاجلة ، التي ترسل بشائر الخير ، والادب ، واخبار الاحباب والاصحاب ، وجمع شتات المعارف والعلوم ، وهي التي بثت نجوى المحبين ، بقصائد الشعراء المتيمين ، وبقصص الرواة والقصاص المتحدثين ، بلغة بعيدة عن المجون ، وباسلوب قريب للنفس ، وطرق الابداع والفنون

كما ان (الاديب) لم تنس مكانة المراة العربية ـ كاتبة ، وشاعرة ، واستاذة وطالبة حيث منحتها حق التعبير الادبي ، في سنين كانت المراة في بعض البلدان العربية ، تخجل من ظلها ، وتخاف من دقات قلبها ، وتخفي ما يجول في مكنونات نفسها ، وما تسطره من خواطر وجدانها .

اما حق (الاديب) علي ، فهو حق لا تؤديه الكلمات القصيرة . ولا الفاظ المجاملات المتداولة ، لانه اخذ بيدي يوم أن كنت بعيدا عن اهلي ووطني .

وامدني بأنس المودة ، وروح الصداقة والمحبة ، يوم ان كنت مستوحشا في ديار الغرب النائية .

ويوم ان كنت طالبا للعلم ، قليل المال ، ضعيف البنية ، أذوق من مرارة الصبر ، وكثرة الحرمان ، وعدم التشجيع الشيء الكثير .

ظلت هناك خاطرة ارغب تسجيلها للتاريخ والذكرى هي ان معرفتي (بالاديب) وصاحبها العزيز شخصيا كانت سنة ١٩٤٥ وهي في شقة صغيرة عالية تقع خلف (العدلية) وبالقرب من المعرض وباب ادريس ومن محطة الاذاعة اللبنانية القديمة .

وكان بواسطتها اول معرفتي بالاخ الباحث اللغوي الشيخ عبد الله العلايلي وبالشاعر العربي المعروف عمر ابو ريشة ، وسائر كبار وصغار الادباء والكتاب والشعراء والصحافيين اللبنانيين ، والعرب الوافدين ، الذين كانوا يتقاطرون لزيارة (الاديب) الزاهرة ، وصاحبها المحترم .

فله الان تحية اجلال ، من محب قريب بعيد ، ومن مخلص ذاكر مقدر .

والى قراء (الاديب) ومحبيه ، وكتابه ، وشعرائه ، في كل بقعة من بقاع العالم ، وتحت كل نجم من نجوم الدنيا . ابعث بأصدق الامنيات ، وباعطر التحيات ، بمناسبة مرور اربعين عاما لصدور (الاديب) الغراء .

مع الشكر للاستاذ الشاعر الاخ الصحافي محمد جواد الغبان الذي لولا كلمته الاخيرة في (بريد الاديب) ودعوته لتكريم مؤسسها المجاهد ، لما تحرك هذا القلم الصغير ، ليخط الكلمات المتواضعة ، ويقدمها تحية اكبار لمنشئها الكبير .

وكأني اراه يردد مع الشاعر (الكندي) قوله :

وان الذي بيني وبين بني ابي　　وبين بني عمي لمختلف جدا
اذا اكلوا لحمي وفرت لحومهم　　وان هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

او كأني أراه يشير الى الزغاليل الذين طاروا عن سماء (الاديب) وتنكروا لمعروفه وفضله ، ويقول مع الشاعر القديم :

اعلمه الرماية كل يوم　　فلما اشتد ساعده رماني
وكم علمته نظم القوافي　　فلما قال قافية هجاني

بغداد ـ كلية الاداب　　محسن جمال الدين

الى الشاعر البير اديب في عـــام « الاديب » الاربعين

اأصفيـك الوداد ، وانـت اصفى ... وازجيك الوفاء ، وانــت اوفى
وهذي الاربعـون ، كتـاب مجـد ... غزلـت سطوره حرفـا فحرفـا
الم نـك في ظلالك ، منـذ كنـا ... ازاهـيرا تضـوع شذا وعرفـا
تنمنم باقــة ، فتقيـم دنيـــا ... على الدنيا ، من الشهـد المصفى

ه ه ه

سرينا ، و « الاديب » منار هدي ... وليس لنـا جناح ، بعد ، رفـا
فما ضاقت ذراك ببوح زغـب ... وضاء لديـك ومض كاد يطفـا
هنا ، في ظلـك الحاني ، ربينـا ... هنا رويتنـا حبـا وعطفـا
هنـا انطلق الشراع ، فكل يـم ... نذلـل عصفـه ادبـا ولطفـا
هنا فتحـت برعمة النجـاوى ... ومـا كتمتهـا عنتـا وعسفـا
هنا كوكبتنـــا ، فانـداح فكـر ... يحـاذر هجنـة ، ويمج زيفـا
يدل على الشموخ ، يغض طرفـا ... اليس الاقحـوان يغض طرفـا
الا ، يا ناهضـا بالشعر « طلقا » ... اليك تحيـتي ، شعرا مقـفى
نوفي الشعـر ، مختلفـين حقـا ... وحق الشعر اولى ان يـوفى
نوفي الشعـر قافيـة ، ووزنـا ... وتسكينـا ، وتحريكـا ، ووقفـا
نوفي الشعـر ، مضمونـا نديـا ... وننكـره اذا اقـوى وجفـا
نوفي الشعر ، دنيا من نجـاوى ... عواطـر تنكر النظم المسفـا

ه ه ه

حرصت على الاصالة حرص حـر ... اذا أتلق التـراث يهـز عطفـا
ولم تـدع الحداثـة لانفلات ... فصنـت حدودهـا جودا وزلفى
فلا تعبـا بما اجتـراوا علينـا ... افاعي جونـة ، رقطـاء ، جوفـا
تلم عصـا اذا مـرت بـواد ... وتقذفها بوجه الشعـر قذفـا
تقلـد كل راطنـة بحـرف ... وتنعى ، بعدها ، نحـوا وصرفـا
وتغرق في الاحـاجي مبهمـات ... بعقـل خف وزنـا واستخفـا
اضاعت نصفه في عقــد لغـز ... وفي رسـم الطول تضيـع نصفـا

ه ه ه

سالتك ، لا تلمهم ان يضلـوا ... عن النهـج الذي وفيت وصفـا
امـا عودتنـا شدوا وشجـوا ... امـا جنبتنـا هذرا وسخفـا
اما انميتنـا قلبـا جسـورا ... ووجها باسلا ، ويـدا ، وانفـا
وهـذي الاربعـون الزهـر شفت ... عن الخلق الرضي ، وقـد تخفى
الست ترى الاغاريـد اطمانـت ... وكانت تستظـل بشبـه منـفى
اتيتـك ، عـدتي قـلم وقلـب ... همـا بحنانـك الابـوي حفـا
فان اصف الوداد ، فانـت اصفى ... وان ازج الوفـاء فانـت اوفى

فوزي عطوي



ايليا حليم حنا

مع "الأديب" في مسيرته

بقلم ايليا حليم حنا

* * *

« الاديب » تجربة رائدة ، لها بصماتها وطابعها الخاص .. و(الاديب) ليست ورقا وحبرا لكنها كائن حي ذو ذاتية وروح واسلوب . انها اكثر المجلات الادبية هيبة ووزنا .. لها تقاليدها الطويلة في اتزان الكلمة واصالتها . تطلع علينا منذ بزغ نورها وقورة رصينة في كل ما تكتبه ، وحتى في غلافها الثابت الذي لم يتغير منذ ان صدرت والذي يميزها من بين العديد من المجلات الاخرى .

صدرت « الاديب » في اول يناير ١٩٤٢ تجمع بين نظافة الكلمة وجمال الاخراج، تهتم بالصورة والرسومات العديدة التي تزين صفحاتها .. وظلت اعداد الاديب تجمع بين الكلمة المطبوعة والصورة الفنية والكاريكاتير ، ثم تخلت الصورة للكلمة عن مكانها . واكتفت بنشر صور كتابها مع ما ينشر لهم .

والاديب منذ ان صدر عددها الاول جادة في كل ما تقدمه ، تحمل الاصالة والثقافة الرفيعة ، تعلي من شان القيم الانسانية ، تتناول الفكر العربي في كل مجالاته، تتناول القديم والمعاصر منه وتجعل الموروث القديم حديثا، ولا تغفل المفاهيم والافكار المعاصرة . لها موقفها في كل القضايا الادبية التي تشغل اذهان المهتمين بالادب والفن والشعر والقصة والنقد ..

انها تمضي في رسالتها في هدوء دون صخب او شطط أو اثارة .. انها مدرسة جادة تخدم الفكر وتؤمن بالانسان وتجند نفسها لتقديم الزاد الذي يثري العقل والوجدان .. وهي – كما يرى القارىء المتتبع سيرها منذ ولادتها – تحترم قارئها وتقدم له الثراء الفكري التقدمي الرصين البعيد عن الشطحات ، تعمل على رفع مستوى عقليته والتسامي بها . تعين قراءها على ان يروا رؤية جديدة للواقع وان يسعوا وراء ثقافة افضل وفكر ارقى ، تهتم بالتكوين الذوقي واللغوي لقرائها ، تلتمس العربية الاصيلة في كل تراث العصر وتلتزم بالعربية في انقى حسها ، واصفى ذوقها واعلى بيانها . تستجيب للتطور على اتصال بواقعنا .. تؤمن في كل ما تكتبه ان يكون الادب في خدمة الحياة وسعيا الى عالم افضل ورؤية اوضح وتفكير انضج . تعالج قضايا العصر العلمية والفكرية ، وتستشرف لما يحلق فيه من آفاق فنية ، لا ترفض الاستجابة للتطور ولا تنكر الجديد .

تسعة وثلاثون عاما من الوضوح الفكري ، والرؤية الصادقة .. ومجلدات الاديب سجل حافل بالقضايا الادبية والفكرية وكل فنون الثقافة ، وهي اوثق واوفى مرجع لمن يريد ان يؤرخ للادب والادباء في عصرنا .. انها مرجع قيم لكل الباحثين في مجالات الادب والشعر والفن والقصة والسيرة والنقد والتراث ، انها موسوعة عربية تطرقت لاكثر الموضوعات اهمية وعمقا واصالة وجدية ، لاحدث الاهتمامات الثقافية والفكرية .

ويميز (الاديب) عن معظم المجلات الادبية التي تصدر في العالم العربي أن صفحاتها مفتوحة لكل الادباء العرب في جميع الارجاء العربية، ولهذا غدا اكثر المجلات العربية تناولا للفكر العربي ولحياة ادباء العرب والتعريف بهم وبالجوانب المجهولة من حياتهم وانتاجهم.. على صفحاتها يتأصل وينتشر الفكر العربي وامجد ما في تراثنا واحدث اهتماماتنا .. على صفحاتها لمع كثير من الاسماء التي نعتز ونفخر بها في الادب والشعر والقصة والسيرة ..

وصاحب الاديب لا يقف من الادباء الناشئين موقف الكثير من شيوخ الادب واصحاب المجلات الادبية الذين يحجمون عن اشراك الناشئين – حتى الموهوبين منهم – في التحرير لايمانهم بأن الكاتب المشهور يشد الجمهور ويرفع من توزيع المجلة . كم من اقلام ووجهت بالانكار والاهدار والاستكبار !

صاحب الاديب يؤمن ان الشباب هو جسر الحاضر الى المستقبل ، يرى انه من واجب جيل الكهول ان يقدم جيلا جديدا من الادباء ، لذا فهو ينتقي البذور الصالحة

من المواهب الجديدة ولا مانع عنده ان يضع انتاج شاب موهوب مغمور بين اللوامع الذين يكتبون في مجلته ، لايهمه ان يكون الاسم معروفا مرموقا ، لكي يشق الاديب الناشيء طريقه على صفحات (الاديب) لا يحتاج الى واسطة ولا الى صداقة ولا الى سمعة قديمة .. انه ييسر السبل امام المواهب ولا يضع العراقيل امام موهبة جديدة .. يمنح الدماء الجديدة تشجيعه ، ويرعى خطواتهم ويفتح لهم صدره ، فيزداد اخلاصهم واجادتهم ويجندون انفسهم لخدمة قضايا الادب والفكر .

(والاديب) جامعة متكاملة فريدة في طابعها وهدفها، كل عنصر من عناصر مادتها وتبويبها جعلها بحق مجلة المثقفين العرب من الخليج الى المحيط والمهجر ، فهي فضلا عن انها تقدم انتاج الادباء والشعراء من كل الوطن العربي تهتم بأخبار رجال الفكر والادب والثقافة وما يجري في حياتهم ، وتربط القراء بالكتاب ، والادباء بعضهم ببعض ، وتنشر كل ما يجب ان يقف عليه المثقفون في كل ضروب الثقافة والادب والفن .

ففي (بريد الاديب) يتصل الادباء والقراء بعضهم البعض اتصالا وديا وفكريا ، يتبادلون الرسائل التي تنقل المشاعر وتتناول اصداء المشاكل الاساسية في الحياة والادب والنقد . فيه يتعارفون ويتفاهمون وينتقدون ويتصادقون وتقوى الصلة بين الاصدقاء ويكونون على اتصال مستمر في الشرق العربي والمهجر .

واستكمالا لتقوية الروابط واستمرارها بين مثقفي الامة العربية وكتابها وشعرائها ، تتناول (البرقيات الادبية) انتاج وتحركات الادباء والشعراء ورجال الفكر تعرف بنشاطهم واخبارهم واهتماماتهم واسفارهم وما يؤلفونه من كتب ويلقونه من محاضرات وكل ما يعتري حياتهم .. وتلقي هذه البرقيات اهتماما خاصا من الادباء والاصدقاء والقراء .

وتتم حلقة الاتصال الثقافي بما يصل الى (الاديب) من مؤلفات يبعث بها اصدقاؤها من الادباء والشعراء وغيرهم وتظهر في باب (ظهر حديثا) وهذا الباب يعتبر نشرة شهرية تعرف القارىء بأحدث ما ظهر في عالم الادب والفن والثقافة .. هذا بالاضافة الى (مكتبة الاديب) وفيها يتناول الادباء احدث المؤلفات بالشرح والنقد والتحليل .

وقد اتبعت (الاديب) منذ نشأتها امثل الاساليب واكثرها جدوى لفتح كل منافذ الثقافة والفكر والاتصال لقرائها ، وجعلهم اسرة واحدة تلتقي على صفحاتها ... لهذا احبها قراؤها وارتبطوا بها واصبح لها شأن ومقام عزيز في الحياة الفكرية والتراث القومي والانساني .

(والاديب) ــ بحق ــ تجربة رائدة في عالم الثقافة الهادفة ، يحركها هدف واضح واسلوب عمل موضوعي وتفكير ناضج مستمد من اصالة صاحبها وادمانه للادب الرفيع والثقافة الهادفة الجادة ، واحترامه لقارئه . ان اختياره مادة الاديب يدل على اتجاهه الرصين وحسه الادبي العالي وسعة ثقافته واصالته وشاعريته .. انه العنصر الاساسي والخلية الحية التي ينمو فيها (الاديب) وهو الدينامو الذي يحرك هذا العمل المتكامل الناجح ويقوم به وحده . انه يعمل بدون راحة ، لا يفكر في نفسه ولا يحفل بجهده ولا بقوته ، لا يرحم شيخوخته وضعف بصره .. يضع قلبه وضميره في العمل الذي يتعبد في محرابه .. يقبع وراء مكتبه يفرز بريده اليومي ، يقيم ما يقراه من موضوعات ومقالات واشعار وابحاث وقصص . يحكم على العناوين ويرى اذا كانت متفقة مع المضمون او مغايرة له .. كم ساعة يقضيها في قراءة البريد اليومي .. كم ساعة يقضيها في قراءة المواد التي يعدها للنشر .. كم ساعة يقضيها في تصحيح اصول المقالات وتوضيب الصفحات واختيار المكان المناسب لكل مادة .. كم ساعة يقضيها في قراءة الصيغ النهاية وتأخذ (الاديب) شكلها النهائي ؟

كم ساعة يقضيها في استقبال زواره وقرائه واصدقائه وغيرهم .. كم ساعة يقضيها في قراءة اخر الانباء التي ترد بالصحف والمجلات وبريد الاصدقاء والمصادر المختلفة التي يستقي منها (برقياته الادبية) .. كم ساعة يقضيها في قراءة الصيغ النهائية وتأخذ (الاديب) البريد ..!؟ يا له من عمل مستمر مضن يقوم به شيخنا المكافح المثابر وحده دون مساعد ، فهو رئيس التحرير وسكرتير التحرير والمراجع وهو الاداري وهو الفني ..

انه يقوم بكل هذا وحده لانه ليس له من الموارد ما يمكنه ان يوظف كل هؤلاء ، ولا تدعمه اية هيئة .. انه يضني نفسه ويجهدها ويقسرها على عمل فوق طاقة شيخوخته، وبصره الخافت ، ليسير الاديب ولا يتوقف ، ويزيد من متاعبه انه يواجه كل الاعباء المالية ايضا وحده . انه يصارع كل ظروفه الصحية والمادية ليستمر (الاديب).. باع انفس ما كان يمتلك من تحف تذكارية ، وباع مكتبته بثمن زهيد ، ويستميت في المصارعة بما تبقى له من قوة واهنة وبصر ضعيف ليواصل الاديب مسيرته . وتصدر الاديب منتظمة كل شهر دون تخلف او توقف حتى اضطرتها المحنة الدامية الى الاحتجاب عشرة اشهر (فقد هددت القذائف حياة منشئها واتت النيران على اقسام كبيرة من مكاتبها ..) ويخرج صاحب الاديب من بين ركام الاحداث وبيده (اديبه) يقدمه للناس حاملا رسالته ، وتتكرر الاحداث الدامية ، وتحتجب الاديب ثم تعود ، ويصدر صاحبها العدد (يناير ــ ديسمبر ١٩٧٦) حتى لا يحدث فجوة في تسلسل اعدادها .. حتى المحنة القاسية لم توقف الرجل الكبير او تقهره على التخلي عن

عمله العظيم .. لا الازمات المالية المتتالية ، ولا الشيخوخة وأمراضها ، ولا ضعف البصر ، ولا حتى المحنة المدمرة استطاعت ان تسكت صوت (الاديب) . ان استمرار (الاديب) رغم كل الظروف القاسية التي تعترض مسيرته لهو خير دليل على صلابة معدن صاحبه وحبه لرسالته الى درجة التفاني والتضحية بغير حدود .

انها اعجوبة حقا ان يستمر الاديب وتختفي مجلات ادبية عديدة ظهرت معه ، ظروفها افضل بكثير من ظروف الاديب ، يسندها المال الوفير .. ومن رأي رجال الصحافة اليوم انه لا يكفي ان تكون للصحيفة رسالة دون ان يسند هذه الرسالة عنصر مادي قوي يعينها على المنافسة والاستمرار .. انها اعجوبة حقا ان يستمر (الاديب) دون مال يسنده وقد اختفت من حوله مجلات تسندها حكومات وهيئات .. انها اعجوبة حقا .. ولكن لهذه الاعجوبة سرها .. ان شخصا آخر غير ألبير اديب ما كان ليقبل ان يستمر في اصدار مجلته وهي تجلب له كل هذا العناء وتضعه في ازمات متتالية ، ما كان اغناه عنها ، ولكن ادمانه للادب والثقافة ومسؤوليته تجاه قرائه التي لم يقسره عليها احد ولا يجني من وراء تحملها مالا يغنيه، وايمانه العميق برسالته ، جعلته لا يحفل بالاشواك التي يمشي فوقها ولا يعبأ بوعورة الطريق .

ان (البير اديب) لا يعرف لحياته مذاقا احلى من الحرمان ما دام هذا هو سبيل بقاء الاديب واستمراره ! انه كيانه الذي لا يرى له كيانا غيره .. انه ميله الذي ضحى من اجله بكل ما يجلب له الثراء والراحة والمتعة التي يعرفها الناس جميعا .. وتاريخ استاذنا البير اديب يرينا مدى تعلقه بالصحافة والادب .. اشتغل في صدر شبابه بالصحافة في مصر ثم سافر الى لبنان واسهم في تحرير عدة صحف . وحاول ان يسلك طريقا آخر ، فأسس محطة الاذاعة وتولى ادارتها وتركها ، ونزل الى ميدان السياسة وهجرها . لم يستطع ان يتخلص من ميله الاصيل الذي كان يشده ويبعده عن كل ما عداه .. الصحافة والادب جزء من كيانه بل هي كل كيانه ، استأثرت به فأنشأ (الاديب) .. وكان في خطته ان ينشىء دارا كبرى يصدر عنها الاديب ومجلة اسبوعية وجريدة يومية ومؤلفات فكرية ، ولكن ازمة الورق ابان الحرب العالمية الثانية ، اصابته بخسائر فادحة اوقعته في ازمات مالية اوصلته الى ما هو عليه من وضع مادي لم يحاول اطلاقا الخروج منه باتخاذ مسار آخر يحل له ازماته ويوفر له الراحة ... انه هو الذي اختار هذا الطريق طريق ميله وموهبته وترك كل الطرق التي تجلب له الثراء وراحة البال .. وما كان اكثرها .

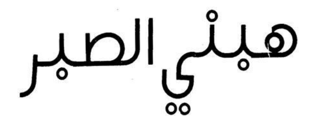
تسعة وثلاثون عاما (والاديب) يناهض ويقاوم ، يواجه الصعوبات والصدمات ويخرج منها لا يضيع من اقدامه الطريق .

بقي (الاديب) واختفت مجلات عديدة اخرى كان لها مواردها الضخمة تنفق منها على التحرير والادارة .. بقي الاديب بأصالته وبقيمته ودوره الفعال في عالم الادب والثقافة .. لولا اصالة الاديب وجدواه لما تركت الايام له اثرا وهو يسير وسط كل هذه الاختناقات !

لهذا كان للاديب وصاحبه معجبون ومقدرون في جميع انحاء الوطن العربي والمهجر .. ولا تمر مناسبة دون ان يعبر هؤلاء عن اعجابهم وتقديرهم للرجل الذي يختفي وراء الاديب ويفنى فيه . ولقد حرص الكثيرون من رجال الادب والفكر ومحبي الثقافة الرفيعة ان يكرموا عميد الصحافة الادبية (البير اديب) في ديسمبر ١٩٦٩ في العيد الفضي لمجلته .. كرموا (البير اديب) الاديب الانسان والشاعر ومنشىء الاديب .. (كرموه على عطائه الكبير واخلاصه ونفسه الطويل وقدرته على الاستمرار) .. ثم قلدوه وسام الارز من درجة فارس اعترافا بما اداه للبنان وللغة العربية .. وقد اجمع المسؤولون ورجال الادب والفكر على عظمة (البير اديب) وايدوا وباركوا كفاحه . وانطلق الشعراء والخطباء ينوهون بما اسدى للادب تحت وطأة ظروفه القاسية .

جميل هذا التكريم الادبي لرائد الصحافة الادبية .. انه جدير بكل تكريم وتبجيل ، فله فضل اثراء الحركة الثقافية وتعميق الوعي الثقافي الهادف في العالم العربي اكثر من اربعين عاما .. ولكننا نأمل ان يكون تكريم رائدنا الكبير – بمناسبة دخول مجلته عامها الاربعين – تكريما يرفع بعض العبء عن كاهله ويبقي على مسيرة (الاديب) يعطي ولا يتوقف عن العطاء .. ان بقاء (الاديب) بالجهود الفردية والموارد المالية الضئيلة يدل دلالة واضحة على اهميته ودوره العظيم الذي يقدره المثقفون في العالم العربي . لهذا يجب ان يبقى (الاديب) ويستمر في اداء رسالته يخدم الثقافة الرفيعة ولا يتوقف .. لقد حان الوقت لقيا محبي الثقافة الجادة والمسؤولين عنها في الوطن العربي ان يؤدوا واجبهم نحو (الاديب) حتى لا يتوقف عن العطاء .. لا يكفي ان يكون التكريم كلاما حلوا .. فالتدعيم يجب ان يسبق الكلمات الحلوة او يجيء معها . وقد اعجبني اقتراح قدمه استاذنا (محمد العدناني) يقول فيه (لماذا لا يفتح صندوق تموله دول النفط العربية .. لينفق منه على اصحاب المجلات الادبية والعلمية وعلى طباعة مئات الدواوين والكتب الادبية والتاريخية والعلمية الرائعة والقابعة مخطوطة في زوايا الاهمال والجحود لانها لم تجد من ينشرها ..؟) .

وهناك اقتراح آخر خاص (بالاديب) قدمه الشاعر الاستاذ فوزي عطوي قال فيه (نحن نقترح على الدولة



بليت بهم ، لا يضارعـــه هـــم ... واوشك ان يقضي على مهجتي الغم
ملأت كؤوسي بالزلال ، وعندمــا ... رشفت، سرى في كل اعضائي السم
وأبني ، فيأتيني الزمــان وكفــه ... لها معـول جوعان اقواتــه الهدم
وابسم للدنيــا ، واصبو لوصلها ... ولكن وجه الحظ مكتئــب جهــم
واسعى الى قنص المنى، وهي جمة ... فيقعدني عن قنص احلامي السقم
والبس ثوب الفال ابيضا سابغــا ... فيخلعه بالرغم من انفي الشــؤم
واشهــر عزمي للقضاء على الاسى ... فلا انثني الا وقــد خانني العــزم
ويغلبني دهري ، فاعنــو لحكمــه ... وان كان فعلي ليس ينقصه الحزم
فيارب! هبني الصبر وامدد بالرضى ... فدمع وحيد الصبر زاخرة يـــم
ولم تبق لي ام تجـــير ، ولا اب ... وما كان لي خــال يدافع او عــم
فوحـدك يارب السماوات ملجئي ... فكـم مرة قد نالني عطفك الجم
اقل عثرتي ، واطرد نوائبي التي ... يصيب فـؤادي كل يوم لها سهم

محمد العدناني

ان تتبنى (الاديب) وا نتكرم صاحبــها بتحويلهــا الى مؤسسة ، والا ، فأقل الايمان ، ان يشارك الادبـــاء اللبنانيون والعرب ، في تحويل (الاديب) الى مؤسســة تكفل استمرار المجلة وتكريم صاحبها الذي اعطى ومــا يزال يعطي الادب ذوب الفؤاد وحشاشة النفس) .

بكل الحب والتقدير والاكبار نستقبل مع مجلتنــا (الاديب) عامها الاربعين ، راجين لرائدنا عميد الصحافة الادبية ، استاذنا (البير اديب) العمر الطويل وموفور الصحة والعافية حتى يتابع الشوط الى مداه ، محيين فيه اصراره العنيد على المضي في رسالته ، مقدرين ما للاديب من اثر بالغ في الثراء الفكري ، راجين ان يظل (الاديب) منهلا للثقافة العربية الصافية الصادقة .

ان احتفالنا بأربعين عاما من حياة (الاديب) هو في الحقيقة احتفال بالمعاني الاصيلة التي يمثلها صمـــود (البير اديب) .. نحييه من كل قلوبنا ونحن نضيء معه شمعة العام الجديد لمجلته الرصينة التي نذر لها حياتــه واوقفها عليها . متمنين ان يضيء شموعا اخرى عديدة في حياتها الطويلة المديدة .

القاهرة **ايليا حليم حنا**



الدكتور محمد رجب البيومي

من تواضع الراسخين

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي
عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة

* * *

من منا لا يذكر عالم النحاة ابن مالك ؟ لقد رزقه الله حظوة مثمرة في التأليف اذ ذاعت مصنفاته في الشرق والغرب ، وتعددت آراؤه في المعضلات ، ودار حولها الشرح والتأويل والتحليل ، وقد درسنا في الازهر على عهد الطلب شروح ابن عقيل وابن هشام والاشموني على الفيته مصحوبة بحواشي الخضري والازهري والصبان فأخذ منا الرجل في ميدان النحو جهدا لم ينله سواه ثم تابعنا بعد الدراسة مؤلفاته الاخرى فعرفنا أن ابن مالك رحمه الله علم الاعلام في بابه وقد قيل انه قرن بسيبويه في مقامه العلمي ، ولسنا بصدد الموازنة العلمية بين امام وامام ، ولكننا ننقل ذلك لنصور مكانة الرجل في نفوس الدارسين .

واذا كان من القراء غير المتخصصين من لا يعرف تاريخ هذا العلامة الضليع فاننا نوجز الحديث عنه حين نذكر انه ولد في مدينة جيان بالاندلس سنة ستمائة للهجرة ودرس علومه الاولية حيث ولد فألم بالنحو والقراءة والفقه ثم توجه الى الشرق فكانت دمشق وجهته الاولى بها لقي اعلام العصر وتوسع في الرحلة فزار مدينة حلب وحظي بالاستماع الى اكابر رجال الشام من امثال ابن الحاجب والسخاوي الاكبر وابن يعيش ، هذا الى تقوى وزهد وكثرة عبادة حتى قال مؤرخوه انه ما كان يرى الا مصليا او قارئا او مصنفا ، واذا كان النحو مجال شهرته بين الناس ، فان الحديث النبوي ومتن اللغة وعلم القراءات كانت تحظى بتفوقه البارع في ميادينها ، وقد ألف فيها مؤلفات طيبة نرجع اليها الان في ثقة واطمئنان .

وهذا مما يؤكد ان علوم الشريعة وعلوم العربية تتلاقيان وتترادفان وان ائمة السالفين قد عرف من بينهم من يتكلم في التشريع وفي اللغة وكأنهما فن واحد لا يختلف ، وقد رأينا الان في هذا العصر من تضلع في العلوم اللسانية تضلعه في العلوم الشرعية حتى لتحار اين تذهب به مرجحا كفة على كفة . ومن هؤلاء استاذنا الاكبر محمد الخضر حسين رضي الله عنه اذ كان يناقش معضلات اللغة والنحو والادب كما يناقش معضلات الفقه والاصول والتوحيد بشموخ يرتفع عاليا في الميدانين دون ان تقصر مئذنة عن مئذنة في سموقها الناهض وارتفاعها البعيد .

قال الشهاب محمود ، جلس ابن مالك يوما وذكر ما انفرد به صاحب المحكم عن الازهري في اللغة غيبا ، من صدره دون رجوع الى اوراق ، واذا كانت اجزاء المحكم كثيرة كأجزاء التهذيب فان الذي يذكر غيبا (دون الرجوع الى اوراق مدونة) ما بينهما من الاختلاف في تفسير الالفاظ اللغوية لا بد ان درس الكتابين دراسة حافظة على سعتهما المحيطة ، وهذا عسير كما يقول الشهاب واذا كان ذلك بعض تضلعه في اللغة وحدها فكيف بسائر العلوم .

اما النحو فيكفي للدلالة على بعد همته في تحصيله انه كان على تواضعه الجم يستصغر الزمخشري في مضمار النحو اذ يقول عن تلميذه ابن الحاجب لقد اخذ النحو عن الزمخشري صاحب المفصل وهو نحوي صغير ! وهذا تحديد كاشف لا تجريح منتقص ، لان الزمخشري وقد كان اماما في اللغة والبلاغة والتفسير لم يكن لدى امثال ابن مالك من ائمة النحو ، وتلميذه حينئذ يدور في فلكه واحرى به ان يطير الى سواه .

واذا اشتهرت من مؤلفاته «الالفية» فقد تلاها في الشهرة كتاب « التسهيل » وله عدة شروح من بينها ، شرح المصنف نفسه ، وقد اكمله ولده بدر الدين وله شروح أخرى لمسائل النحو وكتب في اللغة والحديث ، ومنظومات في الصرف والقراءات ، وكتب الفهارس تسجل آثار الرجل بما يقنع الباحث ، ولسنا بصدد التعريف بها ولكننا نشير أليها لتدل على امامته الجهيرة ، وقد ظل يدرس مؤلفاته لاعيان العلماء من رجال عصره اذ كانوا مع شهرتهم الذائعة ومؤلفاتهم البارعة تلاميذ في حضرته يؤمون حلقته ، في المسجد الاموي بدمشق ، ليقطفوا ثمار فضله ، ومنهم ولده بدر الدين ، الذي كان يخالفه في حلقة الدرس ، وفيما كتب من مؤلفاته اذا عن له ما يتسع للمخالفة من المسائل ، فلا ترى من والده الا كل تشجيع،

وهذا ديدن الاستاذ المثالي الذي يجعل صدره فسيح الجنبات لمخالفيه وان كانوا دونه في النظر والتعليل ! كما ان من تلاميذه الكبار بدر الدين بن جماعة قاضي القضاة وبهاء الدين بن النحاس مفسر عصره ، وابا زكريا النووي الفقيه الكبير ، وابا الحسن اليونيني المحدث الشهير ، ولديه نقف ، فما كتبنا هذا الفصل الا لنصور جميل الصحبة ونبيل العلاقة بين التلميذ والاستاذ ، وكيف ضرب كلاهما المثل العالي للدارسين من رجال العلم جيلا بعد جيل .

كان ابو الحسن اليونيني نجلا لشيخ الاسلام الحافظ المحدث تقي الدين محمد بن احمد بن عبد الله ابن عيسى اليونيني ، فهو اذن من بيت علم وفضل ، ابوه شيخ العلماء وحافظ المحدثين ، وقد قيل في تاريخه عنه « لم ير في زمانه مثله ، كان الملك الناصر يهرع الى زيارته ويتأدب معه وله اختصاص جاد بالحديث النبوي يحفظ متونه واسانيده ويناقش علله ومعاضله ، وقد نشأ ولده ابو الحسن علي بن محمد اليونيني على نهجه فكان اتجاهه الاول الى الحديث ، وقد نقل ابن العماد في شذرات الذهب انه صار شيخا جليلا حسن الوجه بهي المنظر ، له سمت حسن وعليه سكينة ولديه فضل كبير فصيح العبارة حسن الكلام ، له قبول من الناس وكان ممن سعدوا بدروس ابن مالك ، اخذ عنه النحو واللغة وعد من كبار تلاميذه ثم تخصص في الحديث بعد ان ورد حياض استاذه وقطف من الحلو جناه .

كان ابن مالك رضي الله عنه من علماء العربية الذين يرون صحة الاستشهاد بالحديث النبوي لغويا ونحويا على حين ذهبت الكثرة من هؤلاء الافاضل الى ان الحديث النبوي قد روي بالمعنى فلا يصح الاستشهاد به اذ لا نقطع تمام القطع ان افصح البلغاء عليه السلام قد نطق بألفاظه ، ولهم في هذا المجال صيال ونقاش اذكر اني قد بسطت الحديث عنه في بعض ما كتبت من قبل ، وقد انتهيت الى ما رأى ابن مالك واضرابه من صحة الاستشهاد بالحديث النبوي لغويا ونحويا ، واظهر ما يقال في تأييد ذلك ان صح ان الراوي قد تصرف في اللفظ مكتفيا بالمعنى ، فهو صحابي او تابعي عربي فصيح ممن يستشهد بقوله ، واني لاعجب كل العجب كيف نستشهد بكلمة نثرية عابرة يقولها اعرابي مجهول مثل « نعم السير على بئس العير » ثم لا يجوز ان نستدل بقول افصح البلغاء « من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ، ومن اغتسل فالغسل افضل » او نسمع كلمة عابرة مثل « اكلوني البراغيث » فنجعلها لغة معترفا بها ، ثم لا نستدل بمثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار » ؟!

مهما يكن من شيء لقد هدى الله قلب الامام محمد ابن مالك الى صحة الاستشهاد لغويا ونحويا بما روي عن رسول الله ، وقد اخذ يتتبع كتب السنة المطهرة ليجعلها مجال نظره الاستدلالي ، ولكن حرمة العلم وجلال الالتزام وقوة التبعة ، كل ذلك يحتم عليه ان يقرا الحديث النبوي قراءة صحيحة كما تداولها ائمة الحديث راويا عن راو ، فلا بد الا يكتفي بالقراءة الغيبية دون الوقوف على النطق المتسلسل الذي التزم به الرواة منذ كتبت مجموعات الصحاح ! والرجل محدث كبير ، يحفظ الحديث ، وقد كان يعض مواده الدراسية دون نزاع ، ومثله يكتفي بما حصل والم ، فهو امام العربية في عصره ! ولكن اني يطمئن الى جلال علمه ، وقوة تدقيقه ، وقد نسي بعض الضبط الحقيقي لبعض الالفاظ ، لا بد ان يجلس مجلس المستمع المستفيد من جديد ، ولا بد ان يتلقى صحيح البخاري سماعا من راوية امام موثوق بسماعه .

وقد فكر وقدر فراى ان اكبر محدثي بلدته هو تلميذه أبو الحسن علي بن محمد اليونيني الذي يقول عنه ابن حجر فيما بعد ، انه كان شيخ بلاده والرحلة اليه ، فلا بد اذن من ان يجلس منه مجلس المستفيد ، وهو تلميذه الذي يصغر عنه بأكثر من عشرين عاما ، اذ ولد ابن مالك سنة ٦٠٠ هـ وولد اليونيني سنة ٦٢١ ، ولا بد ان يكون المجلس ذائعا مشتهرا يحضره طلبة العلم من زملاء اليونيني ، وتلاميذ ابن مالك ليعم الفضل الجميع وهكذا اعلن الامام العلامة النبيل محمد بن مالك علم الاعلام في عصره انه سيجلس مستمعا الى الرواية الصحيحة للبخاري حيث يقرؤها محدث العصر وحافظه الامام ابو الحسن اليونيني وسيكون هذا الاستماع عاما جامعا في أعظم مساجد دمشق .

وقد جاءت الانباء الى التلميذ ، فهرع الى استاذه يعلن انه يفوقه تحديثا كما يفوقه لغة ونحوا ، وانه لا يستطيع ان يجلس هذا المجلس من شيخه الكبير ، ومن تلاميذه الذين هم في الوقت نفسه زملاء ابي الحسن، ولكن ابن مالك أصر وتشدد ، وحدد اليوم الذي تبدا فيه القراءة ودعا من يتوسم فيه العلم الى الحضور ، فلم يسع اليونيني الا ان يشترط على استاذه ان يتفضل بالسماع فاذا عن مشكل لغوي او معضل نحوي سكت التلميذ ليعلن الاستاذ رأيه في هذا المشكل ثم يقوم المستمعون بتدوين ما يقول امام النحو لتحتفظ الاجيال بخبرة علمية نحوية تبحث عن مشكلات الجامع الحديث .

وقد تم للتلميذ ما اراد فقام هو بالقراءة المضبوطة كما جاءت بها الرواية وقام الامام بشرح المشكل وايضاح الغامض وقام التلاميذ بالتدوين في اكثر من سبعين مجلسا تمت بها رواية البخاري ، وتم بها في الوقت نفسه تأليف « شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك » وقد كان يزيد عليه ما لا يتيسر له

بين الصدق والكذب

يقولـون حبـل الكاذبـين قصير — وطرفهم راد النهـار حسـير
فقلت ـ وقدحكمتعقلي ـ صدقتم — ولكن بعض الكذب ليس يضير
اذا كان دفع الشر بالشر جائـزا — فقد قام للكذب البريء عذيـر
رأيت ظروف العيش تدفع صادقا — لان يدعي ان الجمـال تطـير
سألتكم هل يحمد الصدق ان يقل — طبيب لراجيه : شفاك عسـير
اذا ما استفك الكذب ربقة خائف — وخفف عنـه ، فالحقيقـة نـير

بوانس ايرس ـ الارجنتين — زكي قنصل

بالمجلس من مسائل تحتاج الى مراجعة حتى استوى نسيج وحده في بابه ، واليه المرجع الان فيما يدق من وجـوه التركيب والضبط لدى المتخصصين .

وحين جاءت الجلسة الاخيرة التي فرغ فيهـا اليونيني من تلاوته الضابطة راى الحاضرون أن يقـوم الاستاذ والتلميذ معا بكتابة وثيقتين تسجلان هذا الحدث الرائع لتلحقا بالنسخة اليونينية المضبوطة فتكونا تثبيتا لها في نفوس الاجيال ، وتخليدا لمجالس نادرة امينـة ، تصلح ان تكون موضع الحذوة ومناط الاقتداء ، فقـام الرجلان بكتابة ما يرجوان به الخير مما ننقله الآن فرحين مغتبطين

كتب ابن مالك بخطه الواضح في ظاهر الورقةالاخيرة من النسخة اليونينية يقول « سمعت هذا المجلد مـن صحيح البخاري رضي الله عنه بقراءة سيدنا الشيخالامام العالم الحافظ المتفنن شرف الدين ابي الحسن علي بـن محمد بن احمد اليونيني رضي الله عنه وعن سلفه ، وكان السماع بحضرة جماعة من الفضلاء ، ناظرين في نسـخ معتمد عليها كلما مر عليهم لفظ ذو اشكال بينت فيه وجه الصواب وضبطته على ما اقتضاه علمي بالعربية ، ومـا افتقر الى بسط عبارة واقامة دلالة ، أخرت امره الى جزء استوفي فيه الكلام بما يحتاج اليه من نظير وشاهد ليكون الانتفاع به عاما ، والبيان تاما ان شاء الله ، كتبه محمدبن عبد الله بن مالك حامد الله تعالى ، اهـ .

ثم كتب الحافظ اليونيني ما نصه : « بلغت مقابلـة وتصحيحا وسماعا بين يدي شيخنا شيخ الاسلام ، حجة العرب ، مالك أزمة الادب ، الامام العلامة ابي عبد الله بن مالك الطائي الجياني امد الله تعالى في عمره في المجلس الحادي والسبعين وهو يراعي قراءتي ، ويلاحظ نطقي فما اختاره ورجحه وامر باصلاحه أصلحته وصححت عليه ، وما ذكر انه لا يجوز فيه الا اعرابان او ثلاثة اعلمت ذلك على ما امر ورجح ، وانا اقابل بأصل الحافظ ابي ذر ، والحافظ ابي محمد الاصيلي والحافظ ابي القاسـم الدمشقي ما خلا الجزء الثالث عشر ، والثالث والثلاثين فانهما معدودان وبأصل مسموع على الشيخ ابي الوقـت بقراءة الحافظ ابي منصور السمعاني وغيره من الحفـاظ وعلامة ما وافقت ابا ذر (هـ) والاصيلي (ص) والدمشقي (ش) وابا الوقت (ط) فيعلم ذلك كتبه علي بن محمـد الهاشمي اليونيني عفا الله عنه » .

هاتان الوثيقتان حجة واضحة تصلح منارا ساطعا في باب العلم ونبراسا هاديا في دنيا الخلق وبمثلهما فليعتبر ذوو التشاحن والتحاسد من ارباب المنافسة وعشـاق الشموخ ما بين اساتذة وتلاميذ وشيوخ وشبان .

المنصورة ـ مصر — محمد رجب البيومي



عيسى فتوح

المفكر العربي الدكتور جميل صليبا

بقلم عيسى فتوح

* * *

صادفت الذكرى الرابعة لوفاة العلامة المرحوم الدكتور جميل صليبا في الثاني عشر من شهر تشرين الاول ١٩٨٠، فقد توفي في بيروت في ١٢-١٠-١٩٧٦ ، ثم نقل جثمانه الى دمشق بعد اربعة ايام . وكلما حانت هذه الذكرى الاليمة عاتبت نفسي اشد العتاب ، لانني لم اكتب عنه ولو سطرا واحدا ، وانا الذي تتلمذت عليه عام ١٩٦١ ، بعد ان تخرجت في قسم اللغة العربية بكلية الاداب ، وانتقلت الى كلية التربية في جامعة دمشق لنيل شهادة الدبلوم العامة في التربية ، ونهلت من معين ثقافته الواسعة وعلمه الغزير ، وفكره العميق ، كما نهل المئات غيري من رجال العلم والادب والتربية في سورية خاصة والوطن العربي عامة ، فقد كان رائدا طليعيا ، ومؤسسا لعدد من المعاهد والكليات والمجلات التربوية والادبية ، كمجلة « المعلمون والمعلمات » ١٩٣١ ، و « الثقافة » ١٩٣٣ بالاشتراك مع الشاعر خليل مردم بك ، والدكتور كامل عياد ، والدكتور كاظم الداغستاني ، و « مجلة المعلم العربي » ١٩٤٨ التي ظل يشرف عليها عاما كاملا ، كما شارك في اصدار مجلة « كلية التربية » ١٩٥٥ ، وراس تحريرها وأسس جمعية متخرجي كلية التربية .

وهو اول من ادخل تدريس الفلسفة الاسلامية في مناهج التربية في سورية ، وعرف الغرب بهذه الفلسفة في نقله نصوصا منها الى اللغة الفرنسية ، وعمل جاهدا مع الاستاذ المرحوم ساطع الحصري على تطوير المناهج التربوية ورفع مستواها ، عندما كان مديرا للتعليم الثانوي من عام ١٩٣٦ الى عام ١٩٤٥ ، ثم مديرا لدار المعلمين الابتدائية ، فرئيسا للجنة التربية والتعليم في وزارة المعارف عام ١٩٤٦ ، فأمينا عاما لهذه الوزارة ١٩٤٩ ، فعميدا لكلية التربية من عام ١٩٤٩ الى عام ١٩٦٤ ، فرئيسا لجامعة دمشق بالوكالة عام ١٩٥٨ .

ولد الدكتور جميل حبيب صليبا في قرية «القرعون» بلبنان عام ١٩٠٢ ، وانتقل مع اسرته الى دمشق عام ١٩٠٨ وتلقى علومه في المكتب السلطاني العثماني حتى سنة ١٩١٨ ، ثم في « مكتب عنبر » — وكان المدرسة الثانوية الوحيدة في سورية — فنال الشهادة الثانوية منه ١٩٢١ ، ولما لمح الاستاذ الرئيس محمد كرد علي فيه مخايل النجابة والرصانة والذكاء أوفده عام ١٩٢١ في بعثة الى فرنسا لمتابعة تحصيله العالي على نفقة وزارة المعارف .

التحق بجامعة باريس (السوربون) وحصل منها على دبلوم التربية في معهد علم النفس ١٩٢٣ ، وعلى الاجازة في الاداب — فرع الفلسفة ١٩٢٤ ، والاجازة في الحقوق ، ثم قدم الى جامعة باريس اطروحة عن فلسفة ابن سينا فيما وراء الطبيعة ، واطروحة أخرى في نظرية المعرفة على مذهب المدرسة الاجتماعية الفرنسية ، فمنحته هذه الجامعة درجة الدكتوراه في الاداب عام ١٩٢٧ .

ندب محاضرا في المركز الاقليمي لليونسكو في بيروت لتدريب كبار موظفي التربية في العالم العربي من عام ١٩٦٤ الى عام ١٩٧٠ ، كما انتخب عضوا عاملا في المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية الان) عام ١٩٤٢ ، وعضوا في لجنته الادارية ، فعمل منذ ذلك التاريخ على احياء التراث العربي ، ووضع المصطلحات العلمية التي تحتاجها اللغة العربية لتستطيع الوفاء بمتطلبات العصر ، ثم عضوا في اللجنة الدولية لترجمة الروائع الانسانية (اليونسكو) ١٩٥٥ ، كذلك انتخبته اللجنة الدولية لعلوم التربية عضوا عاملا فيها عام ١٩٥٨ .

مثل سورية في كثير من المؤتمرات الدولية والعربية، كمؤتمرات اليونسكو العامة ، ومؤتمر الادباء العرب الذي عقد في « بيت مري » بلبنان ١٩٤٦ ، ومؤتمر اليونسكو في باريس ١٩٥٣ و١٩٦٠ ، ومؤتمر المجامع العلمية العربية ومؤتمر اليونسكو لدراسة الحاجات التربوية في العالم

العربي ، ومؤتمر الشعب الوطنية لليونسكو ، ورأس مؤتمر اليونسكو لتدريس العلوم الاجتماعية الذي عقد في دمشق ١٩٥٤ ، وشارك في ذكرى تأسيس المجمع العلمي السوفياتي في موسكو ١٩٥٨ ، ومؤتمر الادب العربي المعاصر في روما ١٩٦١ .

كذلك شارك في عدد من الحلقات والمهرجانات والندوات الدولية ، كحلقة نظم التعليم في العالم العربي، وحلقة اعداد المربي ، وحلقة الدراسات العربية في الجامعة الاميركية في بيروت ، ومهرجاني المتنبي والمعري ، ومهرجاني ابن سينا في بغداد ١٩٥٢ ، وطهران ١٩٥٤ ، والقى العديد من المحاضرات في كل من بيروت والقاهرة وبغداد والكويت وباريس ودمشق وباقي المدن السورية.

ولم يكتف الدكتور صليبا بهذا ، بل اسهم في النضال الوطني الذي خاضته سورية من اجل الاستقلال وتثبيت الشخصية الوطنية ، والنضال الاجتماعي ليقوم المجتمع على اسس جديدة ، يكون فيها للحرية والعلم واحترام الذات مكان الصدارة ، كما عكف منذ العشرينات على موروثنا الفلسفي يدرسه ويكشف عن حقائقه وخصائصه ويبسطه لغايات تدريسية وتربوية ، ويقف على ما فيه من كنوز وقيم رفيعة تجاوزت عصرها ، مقارنا بينها وبين الاراء والافكار في النظريات الفلسفية الغربية ، مؤكدا على اصالة النظرة العربية وريادتها ، دونما تعصب او تحيز.

كان رحمه الله مثلا رائعا للموضوعية والمنهجية في البحث والحكم ، يعيش في تواضع العالم وبساطته ، يميل الى الرزانة والهدوء وتحكيم العقل ، ويؤثر البعد عن اضواء المجتمع ليظل قريبا من اضواء البحث والعلم والمعرفة ، فقد ظل طالبا العلم ليل نهار طوال حياته ، يحدوه الى كشف الحقيقة ونشرها ذلك الحنين الملتهب والشوق المستعر اليها ، مكبا على الدرس والتحصيل والتزود من نتاج الفكر وارتياد آفاق المجهول في وقت كانت المدارس قليلة ، والادارة التعليمية في طور التأسيس .

قال الدكتور كامل عياد في حفلة تابينه التي اقامتها جامعة دمشق على مدرج كلية الهندسة يوم الاثنين في ٢٠-١٢-١٩٧٦ : « .. في هذه السنوات الطويلة والاحوال المتقلبة ، والاعمال المشتركة التي امتدت من ١٩٣٠ - ١٩٧٦ ما عرفت الدكتور صليبا الا انسانا فاضلا ، صادقا ، وفيا ، عف اللسان ، رضي الخلق ، طيب المعشر ، لا يحقد على احد ، ويحب الجميع ، ويريد الخير لكل الناس .. وهب نفسه للعلم فأخلص له وتفانى في تحصيله ونشره ، وقضى حياته يبحث ويحقق ويؤلف ويعلم ، حتى اربت كتبه على الثلاثين بين مؤلف ومحقق ومترجم ، في اللغات العربية والفرنسية والانكليزية .. لقد كان علما من اعلام النهضة العلمية في سورية ، وفي سائر انحاء الوطن العربي ، ورائدا من رواد الفكر الحر ، وداعية الى التجديد والتقدم ، وكان يؤمن بأنه لا سبيل الى الاصلاح ، الا عن طريق البحث العلمي » .

ويضيف زميله الدكتور عياد قائلا : « كان عالما تتجلى فيه صفات العالم ، امتاز بغزارة المعلومات ، وسعة الثقافة ، والنظرة الموضوعية الشاملة ، والاحاطة في استقراء الوقائع ، والدقة في البحث ، والامانة في العمل ، والصدق في التحري ، وبعمق التفكير ، والايمان بالقيم السامية . كذلك كان يتحلى بالصبر والاناة والمثابرة ، لا ينقطع عن الدراسة والمطالعة والمراجعة والكتابة ، ساعيا دوما وراء المعرفة ، متمسكا بروح العدل والانصاف ، طالبا الكمال .. » .

لم يذكر ان الدكتور صليبا قد تخلف يوما عن جلسة من جلسات المجمع العلمي ، فكان يحضرها بانتظام ، ويشترك في مناقشاتها ، ويعمل في اللجان المختلفة ، فنال بذلك تقدير زملائه وأعجابهم ولا سيما برجاحة عقله ، وسداد رايه ، ورزانته ، واخلاصه في خدمة اللغة العربية والدفاع عن خصائصها ومميزاتها :

من أبرز مؤلفات الدكتور جميل صليبا : المنطق ، من أفلاطون الى ابن سينا ، من الخيال الى الحقيقة ، الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام ، اتجاهات النقد الحديث في سورية ، مستقبل التربية في الشرق العربي ، تاريخ الفلسفة ، الدراسات الفلسفية ، الفكر الفلسفي في الثقافة العربية المعاصرة ...

الا ان أهم عمل توج به مؤلفاته التي بلغت ثلاثة وثلاثين كتابا هو « المعجم الفلسفي » الذي صدر عام ١٩٧١ في جزئين وفي نحو ١٥٠٠ صفحة ، ويضم حوالي ٢٨٠٠ مصطلح جمع في كل واحد منها بين العربية والفرنسية والانكليزية ، وشرحها شرحا وافيا ، وهو اميل الى الدراسات الموسوعية منه الى قوائم المصطلحات المختصرة ، ولم يقدم على تأليفه الا بعد ان « لمس ان المصطلحات الفلسفية المترجمة عن اللغات الاجنبية ، لا تخلو من اللبس والغموض ، وكل مؤلف يختار من الاصطلاحات ما يرضيه ، حتى انك لتجد للمعنى عند بعض المؤلفين الفاظا مختلفة ، او تجد للفظ الواحد عدة معان » .

كان الدكتور صليبا قد بدا منذ مطلع حياته الادبية يجمع المصطلحات الفلسفية ، ويدرس مدلولاتها ، ولما أصدر الطبعة الاولى من كتابه « علم النفس » ١٩٤٨ الحق به فهرسا للالفاظ الفلسفية يشمل ٣٦٠ مصطلحا ، ثم استمر في التنقيب عن هذه المصطلحات ، ووضع طائفة منها عن طريق التعريب او النحت او الاشتقاق ، كما سعى الى احياء المصطلحات العربية التي كان يفتش عنها في المعجمات

القديمة الخاصة مثل « تعريفات » الجرجاني و «كليات» ابي البقاء ، و « كشاف مصطلح الفنون » للتهانوي وغيرها من مؤلفات الفلاسفة العرب والمفكرين المسلمين ، وقد نشر في مجلة المجمع العلمي العربي سلسلة مفصلة من الدراسات حول المصطلح الفلسفي في ماضيه وحاضره ، كانت نواة هذا المعجم الذي يعتبر الاول من نوعه في اللغة العربية .

لا يمتاز المعجم الفلسفي بهذا العدد الكبير من المصطلحات فحسب ، بل بطريقة تعريفها ايضا ، اذ يتوسع في شرح كل لفظة ، فيرجع الى تاريخها في اللغة ، ويثبت الى جانبها ما يقابلها من الالفاظ الفرنسية والانكليزية واللاتينية ، ثم يستعرض المعاني الخاصة التي تدل عليها في الفلسفة القديمة ، وفي مختلف مذاهب الفلسفة الحديثة كما يورد نصوصا فلسفية تبين وجوه استعمالها ومعانيها الاخرى ، ولذلك جاء معجمه كما قلنا اقرب الى الموسوعات الفلسفية منه الى مجرد معجم الفاظ .

واذا كان موضوع المصطلحات الفلسفية ما زال بحاجة الى مزيد من البحث والاجتهاد ، واعادة النظر دوما ، فلا شك ان معجم الدكتور صليبا يعتبر انجازا علميا قيما ، وخطوة هامة في سبيل وضع المصطلحات العلمية التي تحتاج اليها اللغة العربية في الوقت الحاضر ، كما انه يساعد الدارسين والباحثين على متابعة جهودهم .

يرى الدكتور صليبا ان الكتب التي الفها علماؤنا في السنوات الاخيرة تعتمد في غالبيتها على الاقتباس ، سواء من الفلسفة الغربية ، او من تراثنا القديم ، لكنها بالاجمال تنم عن تقدم ثقافتنا العلمية الحديثة . ويرى ان الذين حاولوا الابتكار قليلون ، بسبب طبيعة المجتمع الذي نعيش فيه ، فهو لم يهيىء لنا بعد اسباب التخصص والتعمق ، ولم يعودنا التفرغ للبحث العلمي الهادىء الرصين واكثر اساتذة جامعاتنا منصرفون عن الانتاج المبتكر الى التأليف المدرسي ، ومدفوعون عن الحياة التأملية الى الحياة العملية ليكسبوا رزقهم ، ولم يتوافر لهم جميعا ما توافر لعلماء الغرب من طمأنينة فكرية ، وضمان اجتماعي .

لكنه مع هذا يؤمن بأن العقل العربي قادر على الابداع واستجلاء حقائق الوجود ، وعلى التجريد والسمو والتعالي ، ويرى انه لا بد لبلوغ هذا الهدف من الاقتباس من معين تراثنا القديم تارة ، ومعين الفلسفة الغربية تارة اخرى .

ويؤكد انه « لو اتيح لعلماء العرب ما اتيح لعلماء الغرب من مجموعات منظمة ، وخزائن غنية ، وسجلات وافية ، ووثائق اصلية ، وتخصصوا في موضوع بحثهم كل ايام حياتهم ، وانتظروا حتى تكمل دراستهم من جميع نواحيها ، لما قصروا عن علماء الغرب في شيء ، ولجاءت مباحثهم اتم من مباحث الغربيين لعلمهم بأسرار لغتهم ، وقدرتهم على تفهم تراكيبها .. لقد اخذنا الآن نجمع وندون ونختار ونرتب وندرس ونحلل ، واذا مضينا في هذا الاتجاه العلمي قدما ، استطعنا ان نلحق بالغربيين ، وان نسبقهم في المستقبل القريب » (الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام واثرها في الادب الحديث ـ صفحة ٢٠٢) .

اما آراؤه في التربية فقد بسطها في كتابه « مستقبل التربية في الشرق العربي » الذي الفه ١٩٦٢ ، ومن اهم ما جاء فيه ان معالم التربية يجب ان تقوم على العروبة وقومية التربية ، والاهتمام باللغة العربية الفصحى ، والدعوة للوحدة الثقافية ، وعلى الديموقاطية وتكافؤ الفرص ، والعدالة الاجتماعية ، وتعميم التعليم ، وعلمية التربية والتجريب فيها .

ومن اهداف التربية ايضا : تنشئة افراد اقوياء الاجسام ، مثقفي العقول ، حسني الاخلاق ، واعداد اجيال عربية واعية تحب التعاون والتكامل والعدل والنظام والتقدم ، وتراعي الحق والواجب ، وتقدس الوطن ، وتعتز بتراثه ، وتؤمن باصالته ، وتخلص لوحدة الامة العربية ..

هذه هي ابرز سمات فكر المربي والعالم والباحث والفيلسوف والاديب المرحوم الدكتور جميل صليبا ، حاولت جلاءها في هذا المقال الموجز ، بمناسبة ذكراه الرابعة ، فهو لا يقل شأنا عن زميله وصديقه ساطع الحصري ، لكل منهما اياد بيضاء على التربية في العالم العربي لن يمحوها كر الزمان ولا مر العشي .

لعل خير ما اختم به هذا البحث اعتراف احد تلامذته الاوفياء في مكتب عنبر ، الاستاذ ظافر القاسمي الذي وصفه خير وصف وادقه حين قال :

« .. اما استاذنا جميل صليبا فهو فصيح اللسان، جذاب اللهجة والاداء ، تسمع أليه فتعجب من هذه الطلاقة الرائعة التي ندر ان متع بها الكثيرون ... وهو صحيح اللغة بليغها حسن اختيار الالفاظ، موفق في تركيب الجمل ، فاذا أصغيت اليه حسبت انه كتب الدرس ثم حفظه من الفه الى يائه .. وهو مسلسل الفكر ، اذا ابتدأ في تقرير موضوع ندر أن يشط عنه ، على الرغم من ان الفلسفة نفسها مادة تدعو الى الابتعاد عن اصل الموضوع .. »

ويقول ايضا : « اذا كانت الفلسفة الاسلامية قد دخلت الى مكتب عنبر ، فان الفضل في ذلك يعود اليه وحده ، وانه لفضل عظيم ، ولا سيما في الحقبة التي كان فيها مستشار المعارف الفرنسي هو الآمر والناهي » (مكتب عنبر ـ صفحة ٧٢ و٧٣) .

وهذا اعتراف آخر للاستاذ حافظ الجمالي الذي كانت سعادته الكبرى في ان يعرف الرجل ، ويكون تلميذا له ، لكثرة ما سمع عنه من كل من كان يمضي الى دمشق

لتابعة دراسته فيقول :

« انه يشعرك دوما انه يغنيك ، ولكنه لا يغنيك الا ليفقرك من جديد ، فانت امام رجل تتمنى ان تعرف منه كل ما عنده ، ويملؤك شوقا الى متابعة البحث والاغتناء، يوقظ نفسك من الغفلة ، وتفكيرك من التقليد ، وكيانك من الجمود ، فكأن كل درس هو فتيلة لشعلة جديدة ، لا ترى الا انها متصاعدة اللهيب تصاعدا متصلا ، والا انك محمول على الصعود معها واصعادها ايضا ، فكأن انقلابا نفسيا من نوع حاد ينشأ في الطالب من الاتصال بمثل هذا الاستاذ ، تحس معه اليوم غير ما كنت بالامس .. حقا هذا الاستاذ هو من اوائل من نقلوا اجيالنا الجديدة من عالم التقليد والجمود ، الى عالم المعاصرة . ان قفزة عقلية من عدة قرون حضارية ، هي التي تحققت على يد هذا المعلم الكبير » .

* * *

بعض أعمال الدكتور جميل صليبا

١ ــ دراسة عن فلسفة ابن سينا (باللغة الفرنسية) باريس ١٩٢٦ .

٢ ــ ابن سينا (منتخبات مع مقدمة عن حياة ابن سينا وفلسفته) مكتب النشر العربي بدمشق ١٩٣٧ .

٣ ــ من افلاطون الى ابن سينا (محاضرات في الفلسفة العربية) المكتبة الكبرى للتأليف والنشر ــ دمشق ١٩٥١ .

٤ ــ علم النفس ــ المكتبة الكبرى للتاليف والنشر ــ دمشق ١٩٣٦ .

٥ ــ دروس الفلسفة (المنطق) مكتبة العلوم والاداب ــ دمشق ١٩٤٤ .

٦ ــ من الخيال الى الحقيقة ــ دار الفكر العربي ــ القاهرة ١٩٤٦ .

٧ ــ تقرير عن المعارف في الجمهورية السورية خلال عام ١٩٤٦ ــ مطبعة الجمهورية السورية .

٨ ــ الرسالة الجامعة لابي القاسم المجريطي ــ تحقيق ــ مطبوعات المجمع العلمي العربي ١٩٤٨ . الجزء الاول .

٩ ــ الرسالة الجامعة ــ الجزء الثاني ــ ١٩٥١ .

١٠ ــ المنقذ من الضلال (مقدمة عن حياة الغزالي وفلسفته) بالاشتراك مع الدكتور كامل عياد ــ المكتبة الكبرى للتأليف والنشر ــ دمشق ١٩٥١ .

١١ ــ حي بن يقظان (مقدمة عن حياة ابن الطفيل وفلسفته) مع الدكتور كامل عياد ــ مكتب النشر العربي ــ دمشق ١٩٣٥ .

١٢ ــ المنطق وطرائق العلم العامة (مع الدكتور كامل عياد) مكتبة العلوم والاداب ــ دمشق ــ ١٩٤٨ .

١٣ ــ ابن خلدون (دراسة وتحليل ومنتخبات) مع الدكتور كامل عياد ــ مطبعة ابن زيدون ــ دمشق ١٩٣٤ .

١٤ ــ احسن القصص لمارك توين والكسي تولستوي ــ منشورات جماعة الفكر الحديث بدمشق ــ مطبعة الهلال ــ ١٩٤٥ .

١٥ ــ التقرير العام عن الدورة السابعة لليونسكو (بالاشتراك) منشورات وزارة المعارف السورية ــ مطبعة الجمهورية السورية ــ دمشق ١٩٥٣ .

١٦ ــ اعداد المربي) بالاشتراك مع سامي الدروبي وحكمت هاشم (لكوزينه ــ منشورات مجلة المعلم العربي ــ مطبعة الجمهورية السورية ١٩٥٦ .

١٧ ــ الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام واثرها في الادب الحديث (محاضرات القاها على طلبة قسم الدراسات الادبية واللغوية في القاهرة) القاهرة ١٩٥٨ .

١٨ ــ اتجاهات النقد الحديث في سورية (محاضرات القاها على طلبة قسم البحوث والدراسات الادبية واللغوية في القاهرة) القاهرة ١٩٦٩ .

١٩ ــ الانتاج الفلسفي خلال المئة سنة الاخيرة في العالم العربي ــ منشورات المجمع العلمي العربي ــ دمشق ١٩٦٢ .

٢٠ ــ مستقبل التربية في الشرق العربي ــ مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٢ .

٢١ ــ الدراسات الفلسفية ــ الجزء الاول ــ مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٤ .

٢٢ ــ كتاب الحيدة للامام عبد العزيز الكناني ــ تحقيق ــ مطبوعات المجمع العلمي العربي ١٩٦٤ .

٢٣ ــ الفكر الفلسفي في الثقافة العربية المعاصرة (عن كتاب الفكر العربي في مئة سنة) ١٩٦٧ .

٢٤ ــ مقالة الطريقة لديكارت ــ ترجمة ــ اللجنة الدولية لترجمة الروائع الانسانية (اليونسكو) بيروت ١٩٥٣ .

٢٥ ــ تاريخ الفلسفة ــ بيروت ١٩٧٠ .

٢٦ ــ المعجم الفلسفي ــ الجزء الاول ــ بيروت ١٩٧١ .

٢٧ ــ المعجم الفلسفي ــ الجز الثاني ــ بيروت ١٩٧٣ .

٢٨ ــ تطور المبدع ــ ترجمة ؟

دمشق

عيسى فتوح

الشمس تتعبني

هند هارون

اللاذقية ـ سورية

وأفقت .. يوقظني شعاع الشمس من وسني
ولمحت وجهك في الشعاع مداريا حزني
حييته بحياء قلب شف يغمرني
بعذاب شاعرة ، تعيش مغالب الزمن
حييته .. رد التحية رد مؤتمن
حييته .. رد الوفية ، غبت في وهني
يا عاديات ترفقي ، والنار تلفحني
واراه في وهج الشعاع يطل من عدن ..

★ ★ ★

الشمس تسعدها رؤاه على منارات الصباح
وانا اراه الشمس قبل ثغرها زهر الاقاح
واحسه النعمى بعين الكون في قلب الكفاح
ويلوح لي نسرا يحلق ، طار مزهو الجناح
وجناحه يغزو الشموس ، يقينه اقوى سلاح
وصلاته وصل السماء طريقه درب السماح
يلقي على وهج الحرور ولفحها اندى وشاح
آلامه نزف النهى ، وجراحه تأسو الجراح ...

★ ★ ★

الشمس تتعبني واتعب مبسم الشمس
واعب من كدر الحياة ، اغوص في نفسي
واسائل الاسرار عن يومي وعن امسي
أترى أعيش على بقايا النبض في حسي
أترى اكون لانني للحرف .. للطرس
لأعب احزان الورى بثمالة الكاس
ما عدت ادري السر .. ضاعت روعة الحدس
الشمس تتعبني .. وحزني دمعة الشمس

★ ★ ★

عجبا .. يهدهدني الكرى ، ويلفني المي
ويذوب سهدي في بحار الوجد في الظلم
النوم صار سعادة بل متعة الحلم
وأضم في أرقي المدمر دفتري ، قلمي
واسطر الاشواق والاحزان في كلمي
واموميتي تسقي الجراح ، تعيش في القمم
وحكاية القلب الكسير حكاية الامم
وحديث أعماق العذاب مسيلة بدمي

★ ★ ★

الشمس تتعبني ، ويورق في الدنا المي



وحيد الدين بهاء الدين

جورج صيدح في أخلاقيته وانسانيته..

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

* * *

الذين عرفوا جورج صيدح عن قرب مثافنة او مخالطة والذين سبروا غوره وعجموا عوده عن بعد ، بتواصلهم الوجداني به وتراسلهم الادبي معه ، والذين اتيح لهم ان يسمعوا عنه رواية او دعاية ، أشياء ومآثر ، انتهوا وينتهون دائما الى نتيجة مقنعة واحدة ، هي ان جورج صيدح تتحكم فيه خصلتان ، ارتباط الواحدة منهما بالاخرى عضوي وثيق ، كيما يتحقق وجودهما الراهن معا على صعيد واحد ، وتنسحب آثارهما الايجابية بواقعية ، على ما هنالك من قطاعات ومساحات ، لا لشيء الا لانهما الاساس المتين لقيمة الفرد في حياته ، والذخر الثمين الذي يمكن ان يتركه من بعده عند وفاته وهما : الاخلاقية والانسانية .

ما في ريب ان خبرات الحياة واحباطات الزمان ، وصدمات الفكر والروح ، هذه ألتي عرضت لجورج صيدح على مدى عمر طويل ، تخطى الثمانين عاما ، وفي بقاع مختلفة من العالم ، صهرته حتى صيرته انسانا يتميز عن غيره بشكل او بآخر . كذلك زادته ذكاء قلب وحدة بصيرة ، وعمقا في وعي ذاته والايمان بها والتعويل عليها .. فالى ذاته هذه ، بداية ونهاية ، خصلتاه المنوه بهما ، حيث تتجليان او يمكن ان تتجليا في شتيت من الوان وصور .. وفي عديد من مواقف وصيغ .. لعل ما يقوله جورج صيدح في رسالة له مؤرخة بالعاشر من أيلول عام ١٩٧٧ ، مصداق لما ارتأى : « في مطلع حياتي وضعت لسلوكي خطة لا احيد عنها وهي ان لا استجدي معروفا من احد حبيبا كان او نسيبا وما زلت في آخر العمر اشد اباء عن ذي قبل . اوثر الاستغناء بدلا من الاستجداء ، واجد في القناعة كل الغناء » .

لم يكن جورج صيدح بما جبل عليه فريسة مركب نقص ، وعبد قيم موروثة بالية ، ليحاول التعالي على الآخرين او التعامي عنهم ، وان كانت منازل بعضهم دون منزلته ، الا انه بداع من أبائه وكبريائه كان يصر في سره وعلنه ، ان يكون اعظم من المقابل واكرم .. افضل منه وانبل ، في تعامله معه ، وتحدثه أليه ، بغض النظر عن مواصفاته وامتيازاته . حسبه الماعا الى هذا كله في كلام له : « احاول حين تجيئني تحية من شخص بان احيي بأحسن منها ، وتحملني كبريائي على الاجادة في القول ناسيا ان الموضوع لا يستحق الاهتمام او التجويد كلما خطب ودي غريب او قريب . اقول في نفسي عيب علي ان يكون هذا الجاهل اكثر تأدبا مني فارد عليه ردا حسنا شعرا او نثرا » .

في صيف عام ١٩٧٦ بعد عودتي من رحلة الى خارج القطر ، انقطعت عني فجأة اخبار جورج صيدح ، وكانت من قبل متتابعة، فأوجست من ذلك خيفة، حتى اضطررت معه ان اطير اليه كلمات قلقة مستشفا سر صمته اللامألوف.

فاذا هو لا يلبث ان يهتك حجاب علته وعزلته ، ساكبا في اذني لحنه الشاجي وساقيا نفسي الظمأى بغيث من محبته وطيبته . يقول : « رسالتك حلوى بل من وسلوى هبطت على وجيع يتلوى فرفهت عنه البلوى . شكرا لك ولولا انتعاشي منها ما عمدت الى الكتابة بعد انقطاعي الطويل عن المراسلات لمواجهة الازمات في البيت والجراحة في المستشفيات. عدت الى قواعدي منذ اسبوع مفتتحا هدنة لا ادري هل تطول ام تسفر عن خيبة جديدة تجول وتصول . ومن يعش مثلي على المخدرات فحياته نصف حياة ومصيره مفهوم معلوم . رهين بساعة من الساعات . احمد الله على اني اترك عندك اثرا يحفظ وخيرا يذاع واجد الصدى الامين لعواطفي وخلانقي في قلبك الكبير وفي بيانك الغزير . « يا منصف الموتى من الاحياء » .

يوم كنت ازور مصر ، كتبت الى جورج صيدح من هناك ، مجددا له عهد اخائي ووفـاقي معه ، متذكرا صداقته النادرة حين اغتنامي فرصة لقائي بالاحبة . انما كان جوابه أبعد وفاء واعم جودا ، مما كنت انتظر .. فقد افضى مصرحا : « جاءت رسالتك من وادي النيل كأنها نسيمه العليل وافقه الصافي الجميل ، فردتني الى ذكريات صباي الذي انطوى والى مطالع نجمي الذي هوى وجددت اشواقي الى من فيها من اخوان وخلان ، عشراء ذلك الزمان :

سمر الوجوه كريمة احسابهم ‏ ‏ شم الانوف من الطراز الاول

وقد تمثلتك في صحبة الاديب المثالي وديع فلسطين تنعم بمجموعة من مكارم الاخلاق تجسدت في شخصه الفريد، نسيج وحده في الوفاء والمروءة والالمعية، فتمنيت لو كنت ثالثكما ، اتحدث الى كل منكما ، فانفي عن نفسي شعور الغربة الذي ينتابني هنا روحياً وحسيا ويزداد شدة كلما ازداد ضعفي نفسا وجسدا » .

جورج صيدح انسان لا يقوى على كظم ما يعتوره من مشاعر ومنازع ، عندما يجد واحدا من مريديه او معارفه ،مهما تكن صلته به وتجاوبه معه ، يجابه خطبا جللا ، او يتلقى ضربة من الاقدار او يعاني قرفا او مرضا او نكسة .. كذلك عندما يجد نفسه في وضع يتعذر عليه فيه ان يظهر بالمظهر الطبيعي لاسباب تتحدى رغبته وتشل قدرته ..

لقد هزه مصرع كامل مروة صاحب صحيفة «الحياة» اللبنانية في اواخر الستينات ، كما اوجعته وفاة اديب مروة صاحب مجلة « السياحة » اللبنانية ايضا .. اما غياب البدوي الملثم بنوبة مباغتة ، فألجم شعره وبلد فكره ..

بينما موت سامي الكيالي ، اوحى له برسالة نثرية بليغة وبمقطوعة شعرية مؤثرة ، نقشت ابيات منها على قبر الراحل :

اذا القوم في الدهياء ضاع صوابهم ‏ ‏ اهبت بهم ان يستعيروا صوابكا
وقبلك ضاقت بالمصائب دورهم ‏ ‏ فيا ليت شعري اين آووا مصابكا
زكيك عند الله والناس سيرة ‏ ‏ نحاضرنا مهما اطلت غيابكا
جهادك مبرور وعلمك مشرع ‏ ‏ وحلمك مأثور تناهى فشابكا
حسدت وقد بلت دموعي عارضي ‏ ‏ دموع بين الشهباء روت ترابكا

كما ان جورج صيدح تمنى ، وقد بلغ به اليأس كل مبلغ ، ان يسبق الشاعر القروي في الموت ، بعد موت صاحبيه : الياس فرحات وشفيق معلوف اذ قال :

راح فرحات ثم معلوف قبلي ‏ ‏ رب هب لي ان اسبق القروي

في منتصف الستينات هجر وديع فلسطين ميدان الادب على نحو لم يكن في استطاعته يومذاك تفاديه او تجاوزه، حتى صارح اصدقاءه على امتداد الوطن والمهاجر باعفائه من مناجاتهم ومراسلاتهم بعد اليوم . هنا وقف جورج صيدح الى جانبه مؤيدا موقفه تارة ومستنكرا ما حاق به من حيف تارة اخرى : « مأساة وديع فلسطين هي القرف الذي ادى الى الطلاق مع الادب والادباء . ولن يرجع عن موقفه الا بمرور الزمن . فاصبر عليه » .

ويقول جورج صيدح في مناسبة أخرى : « لا استغرب موقف اخينا وديع فلسطين من طلبك الاخير . انه اسرع عباد الله الى خدمة اصدقائه واصدقهم غيرة في كل مسعى ادبي . ولكنه مقهور موتور لا يريد مس الكتب والصحف لئلا يعلق به ميكروب الادب ويجره ثانية الى ميدانه . هذه هي نفسيته اليوم . فاعذره وثق انه عائد الى سجيته الادبية عاجلا او آجلا . مكرها او مختارا » .

في الوقت الذي لم يتردد جورج صيدح ان يطلق احاسيس الاسف يوم قدم هلال ناجي باريس ، في اواخر عام ١٩٧٣ دون ان تتاح له ملاقاته ، لرحلته الاضطرارية الى مصح « اكس له بان » صدعا لاوامر طبيبه الخاص : « وفي الطريق اصابني النزيف المؤلم من جرح العملية وكانت النكسة . وكانت ازمة المعالجة في غياب طبيبي الجراح الذي سافر الى سويسرا لقضاء فرصة الاعياد بالتزحلق على الجبال ، فكان علي ان اطير الى جنيف كي الاقيه واستسلم لامره في معالجة جديدة تابعتها في مصح « اكس له بان » فلم تعط نتيجة فانتقلت بأمر الطبيب الى هذا المصح منذ اسبوع وشعرت بفائـدة المعالجة واخذت اتدرج نحو العافية مرتاح الفكر بحمد الله . بين هذه الاضطرابات كان حضور هلال ناجي الى باريس وقد علمت من شقيقة زوجتي التي حلت محلنا في منزلي ، انه هتف الي مرارا وزارني مرة ولم يجدني ولا وجد من يستقبله ويحتفي به . تلك مرارة اضافية في نفسي تبقى بعد زوال مرارة المرض والتجريح . فالهلال عاد الى بغداد دون ان نلتقي وجرت الرياح بما لا تشتهي السفن . لسوء حظي . ارجوك حين تجتمع به اطلاعه على ما اتفق لي ، حتى يسيل علي عفو الكرام » .

اما ما رسم جورج صيدح بريشة الفنان المقتدر وعبر عنه نثرا وشعرا طوال حياته الادبية، تجاه قضية فلسطين واصحابها الشرعيين ، فقد كان حادا يشحذ العقل والقلب ، كما كان داعيا للتأمل والدراسة ، لا لشيء الا لانه يثير كوامن النفوس ، ويحقق الغرض المقصود منه ..

لقد اهدى جورج صيدح ديوانه « النوافل » الصادر عام ١٩٤٧ الى « لجنة الدفاع عن فلسطين » .

ثم ذات مرة بينما كنت اتطلع الى اخباره وآثاره فاذا به يفاجئني بما كان يقض مضجعه ، محاولا ان يعقد صلة ولو شبه طبيعية بين ما هو عليه والمشردين المنكوبين من اصحاب القضية . حيث يقول : « حالي وحال اسرتي في خير نسبي يجب علي الرضى به ما دام في البشر اشقياء اسوأ حالا مني . ومتى فكرت في المشردين : سكان الخيام في فلسطين المعرضين للفناء من حين الى حين اخجل

بنصيبي القليل من رفاهيـة العيش امام عذابهم الكثير المستمر ..

واذا ما حلت هزيمة حزيران المنكرة بالعرب عـام ١٩٦٧ ، كتب جورج صيدح بمداد من الكآبة الصامتة : « لقد بدل شهر حزيران المشؤوم جوي وآفاقي ونظراتي الى المخلوقات وخطواتي نحو اهداف الحياة .. والكلام عن النكسة الهائلة التي منينا بها لا طائل له سوى التوجع والتفجع ونكء جراح طرية لم نجد لها الترياق . وكلما امعنا النظر في المستقبل القريب والبعيد ازداد شعورنا بالعجز عن الصعود من الهاوية » .

على ان جورج صيدح كان يهرب في كثير من الاحوال من جو باريس الخانق الموبوء بالدعاية لاسرائيل والهتاف لها ، الى المشاتي والمصايف توفيرا للراحة النفسيـة والفكرية له ، وتبديدا لقلقه المستديم الذي لم يتخل عنه حتى رحل رحلة الابد .. ها هوذا يقول : « اغادر باريس بعد يومين الى « فيشي » لعلي في الابتعاد عنها ترتـاح اذني من سماع الهتاف لاسرائيل والشماتة بالعـرب .. وقانا الله شر اليأس واعاننا على الذل والبؤس » . كذلك يقول جورج صيدح متألما متضايقا في موضع آخر بعـد ذلك بزمن : « وفي راسي مشروع سأدرسه متى بلغت « مونت كارلو » وهو الانتقال الى تلك الامارة بعيـدا عن باريس الموبوءة بالسموم .

قلد الشاعر المصري محمود ابو الوفا في النصـف الثاني من عقد الستينات وساما وهاجا لانتاجه الشعري الذي تغنى بالانسان والحرية والتسامي ، بينما نـال رفاقه الآخرون اضافة الى الوسام ، جوائز مالية : الفان وخمسمائة جنيه لفلان . والف وخمسمائة لعـلان .. وخمسمائة لفستان كما نقول في مصطلحنا العراقي .

والوحيد الذي حرم من المال ، هو المعيل التعيس ذو الساق الواحدة ابو الوفا الذي طالما قال وما اصدق مـا قال :

اريد وما عسى تجدي اريـد   على من ليس يملـك مـا يريد

من هنا التهبت قريحة جورج صيدح متفجـرة ، وقد زلزلت الحكاية هذه التي تناهت اليه جوارحه ، فقال ساخرا :

أرأيت كيف المجد بالشعر احتفى	واتاك بالنيشان ينسيك الجفا
حابى الدعي فراح يبسط كفه	ورأى الشقي فردها نحو القفا
ايكون مجدك صنو دهرك في الاذى	ان من عسى وان تجنى اسرفا
شرف الوسام لمن يبيت على الطوى	صحن المعس (١) كان منه اشرفا
واخجلة النيل الجزيل وفاؤه	ان لم يذق طعم الوفاء (ابو الوفا)

كان جورج صيدح مزاجيا متوتر الاعصاب ، لكنـه لم يكن حقودا فظا ، يهبطان به سجية ونفسية الى دركات سفلى ، لتسام في طبعه ولين في عريكته ، ثم لانهماكه بما كان يعنيه ويثقله من شؤون وشجون .

انما كان يغفر للمسيء اساءته على الايام والاعوام، كما لو كانت غير موجهة اليه ، واقعة عليه .. ومرده الى حلمه باقتدار ، حتى ان ما يعلق بنفسه لا يعتم ان يتشقق كرغوات صابون ، فيعود الى صفائه وهدوئه .. لعـل مواقفه شاهدة ومعروفة من هذا وذاك ولا سيما اولئك الذين تطاولوا على شخصه وانتقصوا من شعـره او حاولوا شيئا منهما ، دون ان يستطيع واحد منهم النيل منه ، من امثال الشاعر القروي والياس فرحات وشكرالله الجر ونقولا معلوف ونعمة قازان وتوفيق ضعون وموسى كريم ويوسف العيد وسليمان داود ونبيه سلامة رمريانا دعبول ويوسف عازار وعزيز اباظة وطه حسين وابوطالب زيان ، وعيسى الناعوري ..

بهذا الشأن قال جورج صيدح :

ان للغيظ ساعـة حين تمضي   قد يعود الصفاء للاصفياء

كما انه يقول في رسالة له الى واحد من اصدقائه : « انا لا احمل الحقد على احد .. ولا اعتبر المال اساءة تذكر . ولا احاسب الناس على سلوكهم معي ان اساءوا ولا آمن على احد ، ان احسنت . هذا طبعي ومذهبي في الحياة ، ولولاه لكنت اليوم وحيدا بلا صديق ولا مراسل ولا من القي عليه السلام لكثرة ما صدمني من الخيبات المريرات ، سهاما تكسرت على السهام ونسيتها كلهـا مع الايام » .

الى جانب هذا كله ، كان جورج صيدح سريع التأثر والاستجابة ، لرهافة حسه وسماحة نفسه ، لا تفوتـه الفكرة اللماحة ولا الفرصة المواتية ، الا استغلها بايجابية وتلقائية ، توكيدا لذاته ، ورعاية لنظيره .. معا ..

فعلى الرغم من الكثرة الكاثرة من الباحثين والناقدين الذين قيموا شعره وفكـره ، وسلطوا الاضواء عـلى شخصيته المتميزة ، فانه ما كان يطمئن الا للكلمة الهادئة النابعة من ذوب القلب ، وعصارة الفكر ، والناهضة على اساس من التجرد والموضوعية..بمعنى انه يرفض الكلمة المنافقة المضللة التي تكمن القصد والغرض ..

في خلال زيارته الاولى لسوريا ولبنان عام ١٩٥١ قام « فريق من الادباء والصحفيين وارباب القلم الحر » باصدار كتاب مستقل عنـه اسموه « السفارة الادبية » واهدوه اليه ، وهو يتضمن ما قيل وكتب فيه من مقالات وخطب وقصائد ..

غير انه استهجن ذلك كله ، مشمئزا مـن تصرف لا يعدو ـ في نظره ـ ان يكون استغلالا وابتزازا .

وحين كتب عنه المستشرق الايطالي مارتينو ماريـو مورانو بحثا عن شاعريته ونشره بروما عام ١٩٦١ اشـاد جورج صيدح بمنهجه وتشبثه بالحقائـق ودراستـه الظروف الموضوعية كما ينبغي ..

وفي عام ١٩٧٢ صدر ببغداد كتاب نقدي عنوانه : « افكار وسطور » لعامر رشيد السامرائي ، ويضم بين

في غدٍ

الى سفيرنا الاديب الشاعر الشيخ احمد عبد الجبار

في غد نلتقي على ضحوة الشمس ... على مفرق الزمان السحيق
في غد ، يا غد الامل الحلو ... ويا بسمة الصباح الانيق
في غد يمتلي الفؤاد ويهنا ... فاستفيقي يا ذكرياتي استفيقي
يافؤادي، يا ايها الخافق السكران ... أضللتني فهز طريقي
انا لولا هواك ، لولا جموح ... في شبابي وضجة في عروقي
لم اوزع على الدروب شبابي ... وادنس وجه ... الحقيقي
حاضري ماتم وامسي مضج ... ايكون الغد الحنون رفيقي
وتعود الطيور للجو تتلو ... سور الحب والهوى والخفوق
عاد نيسان يا حبيبة عودي ... ننشر الحب في الفضاء الطليق
بسمات من الرضى مغريات ... نفحات من البخور العتيق
نملأ الارض والعوالم نورا ... عبقريا من قلبنا المسحوق
اترى ، يا ترى تمو اما ... نينا على مذبح الهوى الزنديق
الهوى الفاجر الاثيم يدمي ... جبهة الحق بالدم المهروق
ما لدنيا الانسان يا مبدع الحب ... تتيه ، تعتز بالتمزيق
تتلوى على جراح من الشر ... والاثم مخنوقة بالشهيق
والتجاديف والزنا بركان ... ثائر من فؤادها الممزوق
ما لدنيا الانسان يا رب جنت ... كجنون الجحيم يوم الحريق
ترسل الانة المسعرة الحمراء ... عمياء ، بلهاء كالمصعوق
تتعرى وللفجور ضجيج ... يا لجرح الخنا العميق العميق
رب عفوا وضعتني في طريقي ... رب رحماك ، قد ضللت طريقي

موسى سليمان

دفتيه ، فصلا تحليليا عن ديوان « حكاية مغترب » لجورج صيدح .. وما ان ادركته نسخة منه ، حتى اسرع بالكتابة الي قائلا بالحرف الواحد : « اما كتاب عامر رشيد السامرائي فتحفة .. ما قرات نقده لديواني حتى علقت اسلوب هذا الاديب الكبير واكبرت طاقته الفكرية والبيانية فضلا عن احساس مرهف ينبه ما خفي في ضمير الشاعر حين يعجز عن الافصاح ويجعل نقده هداية ودرسا يستفيده المنقود . تأمل لو رزقني الله بناقد ذواقه مثله اجده الى جانبي حين انظم الشعر لكنت اليوم على مستوى يختلف على ما انا عليه ولكنني انظم بين الاعاجم . هذا قدري . كان شوقي لا يدفع بقصيدة للنشر الا بعد الاستئناس بآراء اصحابه وزواره ، حتى اولاده وخدامه . اما انا فلا سمير لي سوى القاموس يعصمني عن الاخطاء اللغوية ولكنه يقيد فكري ويبلد شعري ، على كثرة النقاد ــ او المدعين ــ في هذا العصر لا التفت الا الى نقد العقاد ونقد الدكتور مندور ونقد مارون عبود ، الثلاثة ارتحلوا ولم يبق من اثق به سوى دكتور في حلب اسمه عمر الداعرق واليوم اضيف اليه اسم عامر رشيد السامرائي ، بيض الله وجهه ونفعنا بأدبه » ..

(١) المدمس هو صحن الفول اساس الطعام الشعبي في مصر .

بغداد **وحيد الدين بهاء الدين**



الدكتور احمد الحفناوي

من تاريخ دول الإسلام

دَولة غانا الإفريقيّة

بقلم الدكتور احمد الحفناوي

مدرس التاريخ الاسلامي في جامعة المنوفية

* * *

كان اول من ذكر « غانة » من العرب : الفزاري الفلكي الذي ذكر قبيل عام ٨٠٠ م ، عدة بلاد افريقية منها اقليم غانة بلاد التبر ، ثم الخوارزمي الجغرافي قبيل عام ٨٣٣ م، الذي حدد غانة في خريطته التي نقلها عن بطليموس .

اما اليعقوبي الجغرافي فقد وصف ملك غانة عام ٨٧٢ م : بانه ملك عظيم ، وفي ارضه معادن التبر وهو صاحب عدة ممالك كثيرة ، وجاء ابن حوقل الجغرافي سنة ٩٧٧ م بعد قرن من الزمان وكان قد زار اودغشت فقال : ان لملوك هذه المدينة صلات بملك غانة اغنى ممالك العالم لذهبها .

وزودنا البكري (١٠٦٧ م) بمعلومات ذات قيمة عن السودان الغربي في العصور الوسطى (١) ، فذكر موقع غانة ووصف احوال الشعب فيها كما وصف ملوكها .

ويلاحظ ان الادريسي الجغرافي (١١٥٤ م) لم يكتب شيئا جديدا عنها ولكنه اكتفى بما ذكره السابقون عليه(٢) واضاف بعضا من المعلومات التي كانت في حاجة الى الدقة والتمحيص .

ولم يكن ما كتبه ابن خلدون الفيلسوف والمؤرخ الشهير قبيل عام ١٤٠٠ م الا صدى لما جاء في كتاب الادريسي (٣) .

وكان ابن بطوطة ثاني المؤلفين العرب الذين زاروا السودان الغربي بعد ابن حوقل ، ويلاحظ الباحث انه لم يذكر شيئا عن غانة ـ حيث كانت قد زالت عن الوجود ـ ولكنه وصف أحوال وعادات شعبها واحوال ملكها .

ولن ننسى المؤرخين السودانيين اللذين كتبا عن تاريخ بلادهما بعد مؤرخي العرب، وزودانا بمعلومات طيبة عن غانة ومالي وهما محمود كعت الذي كتب تاريخ الفتاش (٤) فيما بين (١٥١٩ ـ ١٦٦٥ م) ، وعبدالرحمن السعدي قبيل عام ١٦٥٥م ، الذي الف تاريخ السودان(٥) على ان اول نص عربي لا لبس فيه عن السودان الغربي يرجع الى ابن عبد الحكم المؤرخ العربي (٨٠٣ ـ ٨٧٠ م) الذي قال وهو يتحدث عن حملة جردت الى سوس جنوبي مراكش والسودان سنة ٧٣٤ : وغزا عبيد الله ابن ابي عبيدة الفهري السوس وارض السودان ، فظفر بهم ظفرا لم ير مثله وأصاب ما شاء من ذهب ، وكان فيما أصاب جارية او جاريتان من جنس تسميه البربر اجان (٦) .

وتتفق كلمة المؤرخين على ان دولة غانة تأسست عام ٣٠٠ م وكان اول ملوكها « كاز » ، ثم نمت واتسعت رقعتها حتى امتدت من نهر النيجر الى ساحل الاطلسي غربا وشمالا عند حافة الصحراء الكبرى ، وقد ذكر الادريسي الجغرافي (سنة ٥٤٨ هـ ـ ١١٥٤ م) ان ارض غانة تتصل من غربيها ببلاد مقزارة ومن شرقيها ببلاد الذهب ونقارة ومن شماليها بالصحراء المتصلة التي بين ارض السودان وارض البربر ، وتتصل من جنوبيها بأرض الكفار من اللملية (أكلة لحوم البشر) وغيرها (٧) .

وفي المدة من القرن الرابع الى القرن الثامن الميلاديين تمكنت الاسرة الاولى التي تتألف من اربعة وأربعين ملكا من بسط سلطانها على البقعة بين اوكار وحوض ، وجاء في دائرة المعارف الاسلامية ان حوض اقليم شبه صحراوي يقع شرقي الصحراء الكبرى الافريقية ويمتد الى الشرق من تنبكتو مسافة تقرب من مائتي ميل ويتجول في طول الحوض وعرضه قبائل من العرب او البربر المستعربة اهمها : الاغلل واولاد ناصر .

كان شعب غانة يزرع الدخن وبعض الحاجـــات ويشتغل فريق من الاهالي في صيد الاسماك وكانوا يلبون نداء الملك لحمل السلاح اثناء الازمات ، اما ملوكها فيصف الادريسي احوالهم فيقول : « وغانة الحاضرة مدينتان على ضفتي النيجر وهي اكبر بلاد السودان طرا واكثرها خلقا واوسعها متجرا واليها يقصد التجار المياسير من جميع البلاد المحيطة بها من سائر بلاد المغرب الاقصى ، واهلها مسلمون وملكها فيها يوصف من ذرية صالح بن عبد الله ابن الحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب وهو يخطب لنفسه ، وله قصر على ضفة النيل (النيجر) قد اوثق بنيانه واحكم اتقانه وزينت مساكنه بضروب من النقوشات والادهان وشمسيات الزجاج ، وكان بنيان هذا القصر في عام ٥١٠ م ، وتتصل مملكته وارضه بأرض ونقارة وهي بلاد التبر الذي يعلمه اهل المغرب الاقصى علما يقينا لا اختلاف فيه ان له في قصره لبنة من ذهب وزنها ثلاثـون رطلا من ذهب تبرة واحدة خلقها الله تعالى خلقة تامة من غـير ان تسبـك في نار او تطرق بآلة وقـد نقر عليها ثقب وهي مربطة لفرس الملك وهي من الاشياء المغربة التي ليست عند غيره وهو يفخر بها على سائر ملوك الســودان وهو اعدل الناس فيما يحكى عنه ، ومن سيرته في قربه من الناس وعدله فيهم ان له جملة قواد يركبون الى قصره في صباح كل يوم ولكل قائد منهم طبل يضرب على راسه فاذا وصل الى باب القصر سكت ، فاذا اجتمع اليه جميع قواده ركب وسار يتقدمهم ويمشي في ازقة المدينة ودوائر البلد فمن كانت له مظلمة تصدى له ، فلا يزال حاضرا بين يديه حتى يقضي مظلمته ثم يرجع الى قصره ويتفـــرق قواده فاذا كان بعد العصر وسكن حر الشمس ركب مرة ثانية وخرج وحوله اجناد فلا يقدر احد على قربه ولا على الوصول اليه وركوبه في كل يوم مرتين ولباسه ازار حرير يتوشح به او بردة يلتف بها وسراويل في وسطه ونعل شركي في قدمه وركوبه الخيل وله حلية حسنة وزي كامل يقدمه امامه في اعياده وله بنود كثيرة وراية واحدة وتمشي امامه الفيلة والزرائف وضروب من الوحوش التي في بلاد السودان ولهم في النيل زوارق وثيقة الانشاء يتصيدون فيهـــا ويتصرفون بين المدينتين بها ، ولباس اهل غانـــة الازر والفوط والاكسية كل احد على قدر همته ، وهم يعتمدون في معاركهم على القسي والنشاب والدبابيس اما القسي والنشاب فانها من القصب الشوكي واما الدبابيس فانهـــا من الابنوس (٨) .

ونترك المؤرخ محمود كعت صاحب كتاب : تاريخ الفتاش يصف الاصطبلات الملكية لواحد من ملوك غانة في نهاية القرن السابع فيقول : « لم يكن هناك جواد واحد من جياد الملك الالف ، ينـام الا اذا فرشت طنفسة تحته ، وكان يوثق الجواد برباط من الحرير المجدول حـــول عنقه وفي قدميه وكان لكل جواد ثلاثة اشخاص لخدمتـه يأخذون اماكنهم في جواره ، يعنى احدهم بطعامه وثانيهم بسقيه وثالثهم بما يخرج منه » . وفي موطن آخر مـــن كتابه يذكر : ان الملك كان يجلس على عرش من الذهب الاحمر في كل ليلة ويحيط به حاملو الشعالات الناريـة بينما يشاهد عشرة آلاف من رعاياه ، وهم يتناولون طعام العشاء من مطابخ القصر ، تلك هي احدى صور البذخ التي كان يعيش فيها اباطرة غانة ، وكان الملك يتوسـط دائما ابهة بلاطه الرائع تلك الابهة التي تعكس بدون مبالغة بذخ دولته وفرط ثروتها ، كان يتخذ مجلسه في ايـوان الملك وقد رصعت ملابسه بالجواهر ويضع على راسـه ما يشبه التاج الذهبي ويحف به طاقم من اجياد المطهمة بالحلى الذهبية بينما يقف خلفه عشرة من الغلمان الوصفاء يمسكون الدرقات والسيوف المذهبة والى اليمين يقـف ابناء الامراء التابعين لسلطانه ، وهـم مرتدون الملابس الجميلة ، وقد رصعوا شعورهم برقائق الحلى ويجلس الوزراء امام الملك ، ويقف حاكم المدينة عند قدميه ويحرس كلاب الصيد الايوان الملكي وحول رقابهم الاطواق والنواقيس الذهبية ، والفضية ، وتلك كانت تتبع الملك اينما ذهب وطوف . . .

وكانت تقرع الطبـول الملكيـة عند بداية اي حفـل يشترك فيه الملك وكانت تعرف « بالدبة » اما اتباعه من الوثنيين فيركعون امامه ثم يأخـذون التراب من الارض ويضعونه على رؤوسهم ويبدي المسلمون من رعايـــاه الاحترام بالتصفيق له ، فاذا مات الملك وضعت جثته على الطنافس والوسائد تحت قبة من الخشب وتوضـع الاثواب والوان الطعام والشراب الى جانبها ، وكان يدفن معه المقربون من الخدم والاتباع الذين يشرفون على خدمته الخاصة في اثناء حياته ثم تغطى القبرة بالحصير ويشترك الجمع المحتشد بالقاء التراب على القبة حتى تصير كومة عالية ثم يحيطونها بخندق (٩) .

كانت لبنة الذهب رمز الملكية وقد قدرها الخبراء بثلاثين رطلا وذكر ابن خلدون : انه بعدما سقطت مدينة غانة في قبضة المرابطين سنة ١٠٧٦ م ، وبعد ثلاثمائة سنة بيعت تلك السبيكة الى احد التجار في مصر .

وقد اكتسبت غانة صلات تجارية ممتازة مع الدول المختلفة نظرا لشغلها رقعة الارض التي تقع عند الطـرف الجنوبي لطريق القوافل الغربية عبر الصحراء الكبرى ، وكانت تستورد القماش والمنسوجات الحريرية والنحاس والملح وتصدر الذهب والجلود .

اهم الاحداث التي مرت بغانة

اسلم المرابطون في القرن الثالث الهجري ـ التاســع الميلادي ، وكان لاسلامهم اثر هام في تطور الاحـداث في المغرب الافريقي والسودان الغربي حيث اهتمــوا بنشر

الاسلام بين القبائل الزنجية ولذلك كان من الضروري ان يصطدموا بغانة التي كانت قد وصلت في ذلك الحين الى أوج مجدها ونفوذها وتوسعها حتى ان ابن خلدون قال عن الغانيين : « كانوا اعظم امة واضخم ملك امتدت منطقة نفوذهم من منعطف نهر نيجر جنوبا حتى مدينة آركي في الشمال وتقع على مسيرة سبعة ايام من مضارب قبيلة لمتونة قرب وادي نون ، ولكن كان من حسن طالع حلف الملثمين (المرابطين) المنهاجي ، ان دبت عوامل الضعف في هذه الدولة الزنجية الكبيرة في هذا الوقت بالذات ...

زحف الملثمون (المرابطون) بجيشهم حتى استولوا على « اودغشت » واتخذوها حاضرة لهم وفرضوا الجزية على المغلوبين وقد انتهز شعب « صوصو » فرصة هذا الاعتداء على جارته « غانة » فضربها من الجنوب ثم تفككت روابط الحلف بين قبائل الملثمين عام ٣٠٦ هـ ، ٩١٨ م ، فانتهزت غانة احوال تفرق الحلف وبسطت ظلها على ما حول مدينة اودغشت مرة اخرى ولكنها لم تستطع رد املاكها السابقة بعد استقرار الملثمين (المرابطين) فيها ، ويبدو ان غانة قنعت بالسيطرة على اودغشت للتحكم في طريق التجارة بين بلاد السودان وسجلماسة والمغرب وفي ذلك ربح طائل لاقتصادياتها ومن ثم وقفت غانة ثانية على قدميها طوال السنوات الخمسين التالية اعظم قوة في السودان الغربي .. (١٠) ، وكان من اهم آثار التصادم تسرب الاسلام الى غانة للمرة الاولى .. ثم كر المرابطون مرة اخرى على غانة سنة ٣٥٠ هـ ، ٩٦٠ م واستولوا على اوغشت (١١) .

ولما كانت غانة تهدد تجارة السودان ـ وهي مصدر رزق القبائل المرابطين ـ الضاربة في في الصحراء ـ كان لزاما على هذه القبائل ان تتحد وتتحالف للسيطرة على طرق التجارة والمحافظة على مصالحها الاقتصادية ـ ولكنها فشلت في الحصول على اهدافها فقد قتل زعيمها وهو يقاتل ملك غانة .

الا ان « جدالة » اسرعت الى المعركة التي كانت لا تزال مستمرة وتصدت لقيادة المرابطين ، بزعامة يحيى ابن ابراهيم ، واستطاعت ان توقف زحف غانة الى الشمال الذي كان يهدف للقضاء على الجهود التي بذلت في نشر الاسلام .

وجاء ابو بكر بن عمر واستطاع بعد جهاد دام خمس عشرة سنة ان يهزم مملكة السونتكة الخاضعين لغانة ويضم بلادهم الى دولة المرابطين وانكمش سلطان غانة وتفككت اواصرها واستقلت بعض اقاليمها .

واستمرت غانة في انتهاز الفرصة للانتقام من المرابطين وتهديد سيادتهم بين حين وآخر ، ولذلك وجدنا ان المرابطين كانوا يعملون بكل الطرق على القضاء على غانة .. ظهر ذلك جليا في خطة ابي بكر بن عمر حينما قلد قيادة الجيش الشمالي عام ١٠٦٢ م الى يوسف بن تاشفين وعاد هو الى حرب الصحراء وبعد اربعة عشر عاما تمكن ابو بكر بمساعدة قبائل التكرور من الاستيلاء على كومبي وذبح الكثير من اهلها ونشر الاسلام في كل البلاد وقد تم له هذا النصر على دولة غانة ١٠٧٦ م ، وصارت اليه والى رجاله حقول الذهب الغنية التي كانت من اهم مصادر الثروة السودانية آنذاك .

لم يكن لسقوط غانة الآثار الخطيرة التي كان ينتظرها الزعماء الافارقة في هذا الوقت ذلك لان انهيار المرابطين كان سريعا في الجنوب واسرع من نهايتهم في الشمال . فقد كثرت الخلافات بين قبائلهم مما ادى الى ضعفهم وفشلهم .

وبالرغم من النجاح الذي حققه يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين في تأسيس امبراطورية امتدت من السنغال غربي افريقية الى نهر الابرو في الاندلس ، الا انه في خلال انشغاله بدولته في الاندلس استطاع السونتكة وهو شعب اقليم صوصو التابع لغانة ان يستعيدوا استقلالهم وان كانوا لم ينجحوا في ذلك تماما نظرا لعودة الشقاق الى صفوفهم وعجزهم عن الاستفادة من ظروف خصومهم.

كانت مملكة الصوصو في الاصل ولاية من ولايات غانة استقلت في اواخر القرن الحادي عشر عندما انهارت غانة تحت اقدام المرابطين ١٠٧٦ م وكانت الاسرة التي تحكم صوصو في ذلك الوقت فرعا من اسرة سركلة يسمى جرسو ، وقد خلعها عن العرش عام ١١٨٠ م جندي كان من السركلة ايضا ، الا انه كان وثنيا ينتمي الى طائفة من الحدادين يدعى « جره كنته » وخلفه « سوما نكورو » فزاد كثيرا في سلطان مملكة صوصو بأن اضاف اليها عدة ولايات شمالي حدودها القديمة وجنوبيها وبخاصة وغدو وبغنة التي كانت تشمل كومبي حاضرة غانة .

استولى جيش صوصو على قصبة غانة سنة ١٢٠٣م بقيادة « سوما نكورو » الوثني ، فاضطهد مسلمي غانة وسرعان ما هربوا من جوره ومعهم بعض السونتكة الاغنياء وقصدوا الصحراء حيث « ولاته » على بعد بضع مئات من الاميال شمالي كومبي وجعلوا من ذلك المكان مركزا للحياة الاسلامية سنة ١٢٢٤ م ثم نمت البلدة بمرور الايام واصبحت من اهم الاسواق في الصحراء الكبرى ، اما كومبي فقد محي اثرها .. ويجب الا يفوتنا في هذا المجال ان نتحدث عن :

مدينة كومبي

اطلق عليها الشعب الغاني هذا الاسم ، وهي عاصمة الدولة السوداء ، ويقال لها ايضا : مدينة غانة وقد اشتملت على قسمين كل قسم منهما يقع على تل وتمتد نحو الوادي على رقعة سهل فسيحة وكان يبعد كل قسم عن الآخر نحو ستة اميال يقطن المسلمون احدهما ويسكن

نغم الخلد

خبئيه انه اجمل سر	واحفظيه انه نشوة عمر
هو كنز لن تلاقي مثله	لا بماس لا ولا اكوام در
انه الحب الذي نحيا به	في جنان من رؤى الاحلام خضر
خبئيه واحفظيه انه	نغم الخلد بهذي الارض يسري
غبطة ما فوقها من متعة	وحياة في دم الاعراق تجري

السعودية — علي دمر

الوثنيون في القسم الآخر ، وقد اطلق المسلمون على ذلك اسم « الغابة » لاحاطته بالاحراش من كل جانب وهي موضع تقديس الاهالي وبها المقابر الملكية ويعيش الكهنة والسحرة وعباد الأوثان في هذه الاحراش كما اقيم فيها سجن عتيد ليقضي فيه المحكوم عليهم بالموت ايامهم الاخيرة (١٢) .

كان في هذه المدينة اثنا عشر مسجدا مما يدل على وجود عدد كبير من المسلمين فيها وكذلك عدد من العلماء ورجال الدين والادب وطلاب العلم ، كذلك كانت اللغة العربية هي لغة التدوين في كل انحاء الدولة ، ويلاحظ انه كان في المدينة الوثنية مسجد واحد ـ بجوار دار القضاء ـ يؤدي فيه ضيوف الملك من المسلمين الصلاة ، وقد شغل مناصب الدولة المسلمون والوثنيون على السواء ويذكر البكري : أن غالبية الوزراء كانوا من المسلمين وكذلك القائم بالترجمة للملك .

وقد بنيت دور المدينة بالحجارة وبعضها الآخر باللبن ، كما كان عدد السكان كبيرا وذكر ابن خلدون انها كانت من اكثر مدن العالم ازدحاما بالسكان ، وكان يرتدي اهلها الملابس الصوفية والقطنية والحريرية والمخملية كما ازدهرت فيها صناعات : نسيج الاقمشة والنحاس والاحجار الكريمة والدروع والاسلحة المطعمة بالذهب والفضة وايضا زراعة التمر .

وقد استمد البكري وصف كومبي حاضرة غانة من المعلومات التي كان يحصل عليها من تجار البربر الذين عرفوا المدينة جيدا وتتحدث معظم هذه المعلومات عن رخاء كومبي وابهة القصر ونشاطها التجاري (١٣) .

هذا وقد ظفرت غانة باستقلالها في ٦ مارس سنة ١٩٥١ عن الاستعمار الغربي .

---

(١) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب : ص ٢٩٦ – ٢٩٨ .

(٢) الادريسي : وصف افريقية الشمالية والصحراوية مقتبس من كتاب نزهة المشتاق : الجزائر ١٩٥٧ ، ص ٧–١٧ .

(٣) ابن خلدون : المقدمة : باريس ١٨٦٣ ، ص ١١٥ .

(٤) ترجمة هوداس وديلافوس : باريس سنة ١٩١٣ .

(٥) نشرة وعلق عليه هوداس : باريس سنة ١٨٩٨ .

(٦) ابن عبد الحكم : فتوح افريقية ، طبعة سنة ١٩٤٨ ص ١٢٢ .

(٧) الادريسي : وصف افريقية الشمالية والصحراوية المقتبس عن كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، نشر في الجزائر سنة ١٩٥٧ ص ٧١ .

(٨) الادريسي : المصدر السابق : ص ٣٠–٤٠ بتصرف .

(٩) محمود كعت : تاريخ الفتاش في اخبار البلدان والجيوش واكابر الناس : باريس سنة ١٩١٣ ، ص ٦١ ، ٦٢ .

(١٠) ابن خلدون : العبر : جـ ٦ ص ١٩٩ .

(١١) ابن حوقل : صورة الارض : جـ ١ ص ١٠١ .

(١٢) عبد الرحمن زكي : تاريخ الدول الاسلامية السودانية في افريقيا الغربية ص ٧٧ .

(١٣) د. عبد الرحمن زكي : المرجع السابق ، ص ٧٨ .

جامعة المنوفية ـ مصر — احمد البهي الحفناوي

مع صالح علي الشرنوبي

بقلم الدكتور محمد سعد حسن قشوان

رئيس قسم النقد والادب في كلية اللغة العربية
جامعة الازهر فرع اسيوط

* * *

كان صالح علي الشرنوبي (٢٦ من مايو ١٩٢٤ – ١٧ سبتمبر ١٩٥١ م) اديبا متعدد المواهب ، كان شاعرا مجيدا وناثرا فذا ، ولكن تراثه وفكره لم ينشر على الناس مطبوعا الا بعد وفاته ، فقد فرضت حياة المسغبة التي حاصرت الشرنوبي في حياته ان يظل تراثه حبيس عدة كراسات من الكراسات المدرسية العادية ، كانت عزيزة عليه ، أوصى بالعناية بها بعد موته ، وقد نشر الاساتذة صالح جودت وحسن عبد الوهاب واحمد خميس طائفة من اشعاره في عام ١٩٥٢ بعنوان « نشيد الصفاء » وعدوا عملهم هذا جهد المقل ، حتى كان ذلك الجهد الذي بذله الدكتور عبد الحي دياب رحمه الله ، فقد جمع تراث الشرنوبي الشعري والنثري وقدمه للقراء في سفر ضخم يقع في خمس وسبعين وستمائة صفحة من القطع الكبير تحت عنوان (ديوان صالح الشرنوبي) وقد صدر الديوان عن دار الكاتب العربي بالقاهرة في اواخر الستينات من هذا القرن .

ويضم الجزء النثري في الديوان عدة موضوعات منها القصائد النثرية والاغاني الزجلية والقصة والمسرحية .

صحيح أن نتاج الشرنوبي النثري يعد قليلا في جملته اذا قيس بنتاجه الشعري ، غير انه كان يكتب نثره بروح شاعر مجيد ، وقد نجح في توظيف كل المؤثرات الفنية التي ترقى بالنثر الى مستوى الشعر الرفيع وان لم يكن موزونا مقفى ، كان الشرنوبي فيما تراءى لنا يحتشد للنثر احتشاده للشعر ، لقد كانت حواسه ووجداناته متفتحة على كل شيء في الحياة ، يلتقط منها بشاعريته كل ما يصلح للشعر ، سواء كانت عادية ام تجربة جمالية، فهو يعيش مأساة كل انسان يقابله ، وكانت نافذته التي تطل على الحياة لا تكاد تترك بائسا محروما دون ان تصوره وتعبر عنه .

كانت مقطوعات صالح النثرية ، او ان شئت فقل منثوراته الشعرية جيدة الصياغة تامة السبك ، ذلك لانه كتبها بروح شاعر وفكر انسان ، وحين تقلب صفحات ديوانه الضخم تقع على مقطوعته او اقصوصته التي عنوانها « ذهب وتراب » او هكذا قال فلاح مصري في يوم عرف فيه نفسه وقدر بؤسه التي يقول فيها (١) :

« هنا الكوخ .. (٢) كله نعيم ، وكله جحيم .. وهذا الوادي المخضوضر بالعشب .. ينبسط امامه كأحلام العذراء في فجر الهوى .. والقمر الابهر .. يطل علينا من خلل السحاب كأنه وجه الدرهم الجديد .. وقد استدارت جوانبه استدارة الرغيف الطازج .. وعن اليمين يقوم القصر المشيد .. قصر السيد الغني ، صاحب المزرعة ، ورب نعمتنا .. هو قصر نعرف ما فيه بالتوهم .. لاننا محرم علينا دخوله .. خوفا على بسطه الناعمة من ان تتأذى بوطء ارجلنا الشقية .. الممتلئة بالاخاديد .. وهذه ابنتي الصغيرة « سعادة » .. يعلم الله ان حياتها على النقيض من اسمها .. ترتدي قميصا من القطن الخشن .. نسجته يد البلى .. فهو لا يقوى على مس الراحة .. وفي يديها عود من قصب الاذرة .. ارهقته من طول ما امتصت من رحيقه .. الذي لا يسمن ولايغني من ظمأ ولا جوع .. ترى فيم تحلم هذه المسكينة ؟.. اقتربي يا بنيتي ، وتعالي الي .. قالت الفتاة وفي عينيها دموع تريد ان تنسكب : ابتاه .. وتهاوت على الارض.. كأنها دمعة يتيم جائع .. وانفرجت شفتاها المرتجفتان عن كلمة ملأت سماعها .. لانها تذكرني بما اريد ان انساه .. قالت : لقد اقبل العيد يا ابتاه ، وليس عندي رداء جديد .. قات وقد مزقت سمعي شكواها المرة : من قال لك يا بنيتي ان العيد قد اقبل ؟ قالت ، وقد زادها انكاري اصرارا على الشكوى : لقد سمعت ابن سيدنا يقول لاخته : انه سيذهب الى القاهرة بعد يومين ليقيس ما اشتراه له ابوه من اكسية .. قلت : يا بنيتي ان هؤلاء لا يعرفون للعيد يوما واحدا .. فكل ايامهم اعياد .. اما نحن .. وأمسكت عن الكلام .. فقد اقبلت زوجتي « ام الخير » .. لعنة السماء على يوم عرفتها فيه .. فقد كان يوم سوء لا زلت اذكره ، ففيه بعت آخر قيراط من الارض تركه لي ابي .. لا لشيء الا لاتم نصف ديني كما حدثوني .. ولانقص نصف دنياي كما عرفت فيما بعد .. ونفضت « ام الخير » رداءها وفيه لقيمات .. لا تقيم صلب الطفل المترنح على يديها من الم الجوع .. وامسكت بطرف ردائها المهلهل .. لتمسح به عيني الطفل الرمدانتين .. ولم تزد على نظرة القتها علي وعلى البنية .. ثم اخذت تخطف في سيرها الى شاطىء الترعة القريبة .. وغمرت الطفل في مياهها الراكدة.. ثم اخرجته كقطعة اللحم الفريض .. بعد ان ازالت ما كان عالقا به من

اقذار لتلبسه ثوبا من الطين جديدا .. وعادت جذلانة قريرة العين .. كأنما اتتني بهدية .. ثم تمطت في الهواء بيديها الناحلتين .. فخيل الي انها تريد ان تأخذ السماء من أقطارها .. لتلقي بها في حجري .. قلت : يا رعناء . الى اين ؟ قالت : الى قصر سيدنا .. امسح البلاط ، واغسل الاواني ، واحلب الابقار .. ثم اعود اليك كما تشتهي ان اعود .. قلت في نفسي : فلتذهب الى الشيطان على شريطة ان تعود .. وفي يدها من مائدة الالهة ما يصلح طعاما للعبيد .. وانطلقت تعدو .. وانطلقت في اثرها امان ثلاث .. هي امانينا .. انا ، والفتاة ، والطفل .. جلباب ، وقميص ، ولقيمات » .

كتب صالح هذه الاقصوصة في الثالث والعشرين من مارس من عام ستة واربعين وتسعمائة والف ، في وقت كان الاقطاع وراس المال يتحكمان فيه في رقاب الكثرة الكاثرة من المصريين ، الذين لم يكن لهم ازاء تحكم السادة حول ولا طول ، ولم يسلم من هذا التحكم البغيض الجانب الاكبر من المثقفين ابناء الفلاحين وصغار الملاك ، اولئك الذين تسلحوا بالوعي وتدثروا بالفكر ولقد كان صالح واحدا من هؤلاء الذين عانوا من سوء الحال وقتئذ ، فقد ألجأته ضرورات الحياة الى الاحتماء بمغارة في تلال المقطم بعدما عز عليه ان يجد سكنا يؤويه ، او هكذا شاء لنفسه حينما رفض الحياة مع اولئك الذين يغفلون عن اسى الفقير ، ولوعة المتشرد ، وانة المحروم ، وفي هذه المغارة سجل الشرنوبي احساسه في قصيدة تعد وثيقة هامة على الجانب التعاوني والانساني فيه ، وهي بعنوان : « على ضفاف الجحيم » وقدم لها بقوله : « اليك يا قاهرة .. الى اضوائك القاسية التي طالما عذبت عيني وانا قابع في الجبل المضياف ، بصخوره الحانية ، وكلابه العاوية ، وصمته الكئيب ، ثم الى هؤلاء المترفين الكسالى ، الذين ينكرون علي ايماني بالالم ، وعبادتي الدموع ، واخلاصي للاحزان » . وفيها يقول :

اني هنـا ايتهـا المدينـه	الحـرة الفاجـرة المجنونـه
احبس في جفني الرؤى السجينه	والادمـع الوالهـة السخينـه
اني هنـا اغربـل السكينـه	وازرع الخـواطر الحزينـه
ملء ضفاف الوحدة المسكينـه	وفي يـدي فجري ستعبدينـه
يـوم تـزول	الوحدة الملعونه

وفيها يقول ايضا :

اني هنا يـا جنـة الحقير	اكـل جـوعي واضم نـيري
وليس لي في الارض من نصير	الا ضميري آه مـن ضمـيري
البسني ممـزق الستـور	وجاء بي حيـا الى القبـور
اقرأ في مصـيرها مصـيري	واعـرف الغايـة من مسـيري
بعد احتراق الامل الاخـير	وفرقـة الصاحب والعشـير (٣)

هذه الحياة القاسية التي انغمس صالح في حمأتها هي المسؤولة عن هذه المعالجة الصادقة لتلك الصور البائسة والرؤى الحزينة التي التقطتها عينه ، ووعتها ذاكرته ، وتحرك من اجلها ضميره ، والتي كانت ضاربة بأطنابها في اعماق المجتمع المصري آنذاك ، ولم يكن صالح يملك شيئا يدفع به عن التعساء الاشقياء من ابناء وطنه هبوب هذا الظلم والاضطهاد سوى الكلمة ، لانه كان عاجزا عن دفع هذا الظلم بأي سلاح مادي ، وانى له ذلك وهو الذي يتخذ سريره من حصى المقطم وطينه وصخوره ؟

هذا انا في العـالم الكبـير	فـوق ربـا المقطم المهجـور
متخـذا من ارضـه سريري	من الحصى والطين والصخـور
وتحت سقـف الافق المطـير	والعاصف المزمجـر المقـرور
انام نوم العـاجز الموتـور	عـلى نبـاح الكلـب والهرير
وقهقهات الرعـد في الديجـور	تسخر من عجزي ومن قصـوري

فالشرنوبي شاعر واقعي لا يؤمن بشيء من احلام اليقظة ، تلك التي تهيء له ان يبني قصورا في الهواء، وان ينتقم من ظالميه في الخيال ، فهو لا يحب ان يضاعف من شقائه حين يفيق على واقعه الدامي ، فيرى ان ما شت وراءه فكره وهم في وهم وخيال في خيال ، وانه لن يستطيع بقصوره وعجزه ان يصنع شيئا ينتقم به لنفسه ولابناء جيله من مستغليه ومستعبديه ومنكري فضله ، والذين يقابلون الاحسان بالنكر وبليغ الاساءات .

وقد كان للشرنوبي اهتمام كبير في شعره ونثره على السواء بالمزاوجة بين الشكل والمضمون ، او بين الفكرة التي يريد ان يجليها والاطار الذي يبغي اخراجها فيه، فهو لم يتخل عن المضمون من اجل العناية بالشكل ، كما لم يهمل من اجل الوفاء بالمضمون ، فالاقصوصة التي قدمناها ذات مضمون اجتماعي وسياسي كبير ، ففي الوقت الذي تصعدت فيه حدة الظلم على المستويين الاجتماعي والسياسي في مصر كتب صالح هذه الاقصوصة ، ولا ندري ماذا كان يؤول اليه مصيره لو ان هذه الاقصوصة وامثالها قد نشرت آنذاك ؟ انها تحد صارخ للاقطاعيين الذين كانوا يتحكمون في رقاب المسترقين من ابناء الوطن، ودعوة صريحة الى الثورة والانتقام من هؤلاء اصحاب القصور المشيدة ، والبسط الناعمة ، وفي الوقت نفسه موازنة واعية بين طبقتين الهوة بينهما كبيرة والمسافة الفاصلة بينهما شاسعة ، والفارق بينهما اجل من ان يذكر ، لكن الظلم هو الذي عمق الهوة بينهما ، وباعد في المسافة التي تفصلهما ، وكيف يشقى ابناء الوطن ، وتمتلىء ارجلهم وايديهم بالاخاديد ، وكيف يعانون شظف العيش ومرارة الحرمان ، وهم اصحاب الارض واولى بتلك الثروة التي اصطفاها هؤلاء الاقطاعيون لانفسهم ،

وقد ركبهم الصلف وعلاهم الغرور ، وسمحوا لانفسهم بالتسلط على صاحب الحق الذي حرم منه في غير رحمة او اشفاق .

فالمضمون الفكري في الاقصوصة كما ترى ذو اتجاه انساني لانه يعالج مشكلة كبرى ذات طابع اجتماعي وسياسي هام ، وهذه المعالجة تؤكد ان صالحا لم ينفصل عن ابناء وطنه في المحنة التي عاشوها ، لانه كان يعيشها معهم ، وانه لم يشأ ان يبيع قلمه وفكره في سوق الادب الرخيص بقريشات ينفقها في اللهو الهابط ، ولقيمات يلقيها في جوفه المتفتح للطعام .

اما من حيث الشكل فالاقصوصة اقرب الى روح الشعر منها الى النثر ، فهي تمتلك من مكونات الشعر وطاقاته الفنية ، ورؤاه الابداعية الشيء الكثير ، وليت صالحا صاغ لنا تلك الاقصوصة صياغة شعرية ترتكز على القافية والوزن ، ولو فعل ذلك لحصلنا على واحدة من قصائده الرائعة التي يطفح بمثيلاتها ديوانه الكبير .

ولعلك معي ايها القارىء العزيز في ان الاقصوصة مكتظة باللقطات الفنية التي تشهد ببراعة الشرنوبي وقدرته على صوغ فكراته لتخرج في ثوب ادبي جميل ، ولن اعرض هنا لتلك اللقطات مجتمعة ، ولكني اسوق لك بعضها تاركا لخيالك وفكرك حرية السبح الطويل وراء باقي اللقطات الفنية التي تدل ـ بحق ـ على اقتدار الشرنوبي الفائق في صوغ اسلوبه وبراعته البارعة في التحليق في سماء الادب الانساني الرفيع .

فصالح ـ مثلا ـ لم يلتمس للقمر نظيرا من تلك النظائر التي كانت قد رسخت في اذهان الشعراء والادباء والتي تكون بهذا الرسوخ اقرب خطورا بالبال عند تلمسها في عملية « التكوين » الفني ، ونظرا لان الجائع يحلم بسوق الخبز كما يقال فقد شبه صالح القمر في استدارة جوانبه بالرغيف الطازج تارة واخرى بوجه الدرهم الجديد، دالا بذلك على احساس صادق بربقة الفقر ومرارة الجوع.

ثم انظر الى براعة التشبيه ايضا في قوله عن ابنته: « وتهاوت على الارض كأنها دمعة يتيم جائع » فترجم بذلك عن احساس مفعم بالتعاسة والشقاء ، فدمعة اليتيم حين يعضه الجوع بأنيابه القاتلة سريعة التحدر، ثم هي تنبىء فوق هذا عن حس صادق بمرارة الفقر ولذعة الحرمان .

وقد جسد الفوارق الهائلة التي كانت تفصل بين طبقة السادة وطبقة الفلاحين المطحونين خير تجسيد ، وبخاصة حين تحدث عن زوجه « ام الخير » التي دفعتها الحاجة الى الذهاب لقصر السيد الغني لتمسح البلاط وتغسل الاواني وتحلب الابقار ، لتعود وفي يدها من مائدة « الآلهة » ما يصلح طعاما « للعبيد » .

وبعد فقد غلبت الشاعرية على صالح ، فعلى الرغم من وفاته وهو دون الثلاثين من عمره غير ان رصيده الشعري الضخم يؤهله لان يكون في مصاف شعراء العربية الكبار في العصر الحديث ، ومن الظواهر التي تبعث على العجب ان يموت صالح في هذه السن ليضاف الى عدد من شعراء العصر المجيدين ماتوا دون ان يبلغوا الثلاثين، او تجاوزوها بقليل من مثل : ابي القاسم الشابي ، والتيجاني يوسف بشير ، ومحمد عبد المعطي الهمشري ، وهاشم الرفاعي الذين حلقوا ـ على الرغم من رحيلهم الباكر ـ في سماوات لم يستطع ان يحلق فيها سواهم من شعراء العصر ، وسيكون لنا بعونه تعالى وقفات مع هؤلاء الشعراء الذين ذوت اعوادهم ، وافلت نجومهم بعد رحلة لم تطل في الحياة .

---

(١) الديوان ص ٦٦٤ الى ص ٦٦٨ .

(٢) النقطتان تشيران الى انتهاء السطر في الديوان ، وقد آثرنا استعمال السطر كاملا توفيرا للمساحة عند الطبع .

(٣) انظر الديوان من ص ٤٩٧ الى ٤٩٨ .

القاهرة — محمد سعد فشوان



محمد العدناني

عثرات الأدباء

بقلم محمد العدناني

* * *

كم ذا نصحتك

لقد خطىء حافظ ابراهيم لقوله في مطلع قصيدته الشهيرة ، التي القاها في مدرسة بور سعيد للبنات :

كم ذا يكابد عاشق ويلاقي   في حب مصر كثيرة العشاق

لان المعنى المقصود هنا هو : كم يكابد عاشق ..

ولكن : وافق مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة، في دورته الثامنة والثلاثين ، (بين ٧ شباط (فبراير) و٢١ شباط ١٩٧٢) على القرار الاتي للجنة الاصول :

« ترى اللجنة ان ذكر (ذا) بعد (كم) في نحو : كم ذا نصحتك ! انه تعبير صحيح ، يوجه على ان تكون (ذا) زائدة فيه ، استنادا الى ما جاء في اللسان عن ابن الاعرابي من ان العرب تصل كلامها ب (ذي) و (ذا) ، فيكـــون حشوا لا يعتد به » .

وانا ارى ان نقتصد جدا في استعمال (ذا) بعد (كم) في الشعر ، ونهمل استعمالها في النثر ، لانها حشو لا لزوم له ، ما دمنا قادرين على تأدية المعنى الذي نريده دون (ذا).

المذبذب (بفتح الذال الثانية وكسرها) والمتذبذب (بكسر الثانية)

ويخطئون من يقول : فلان مذبذب (بكسر الثانية)، اي : متردد بين امرين ، او رجلين ، ولا تثبت صحبته لواحد منهما ، ويقولون ان الصواب هو (مذبذب) بفتح الثانية ، لان القرآن الكريم لم يذكر فيه الا مذبذب (بفتح الثانية) ، ولانه جاء في الحديث الشريف : « تزوج ، والا فانت من المذبذبين (بفتح الثانية) » .

واكتفى بذكر المذبذب (بفتح الثانية) : معجم الفاظ القرآن الكريم ، والصحاح ، ومفردات الراغب الاصفهاني، والحريري الذي قال في المقامة البكرية : «واقلب (بتضعيف اللام) العزم المذبذب (بفتح الثانيـــة) » ، والاساس والمختار .

والحقيقة : هي ان فعل (ذبذب) لازم ومتعــد ، فنقول : ذبذب الرجل : حار وتردد ، فهو مذبذب (بكسر الثانية) . وذبذب الرجل (بفتح اللام) : تركه حيران مضطربا ، فهو مذبذب (بفتح الثانية) : القامـــوس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، والمتن .

وذكر كلمة المذبذب (بكسر الثانية) وحدها اللسان واقرب الموارد . اما المذبذب (بفتح الثانية) فهو عنـد صاحب اللسان المطرود .

وهنالك المتذبذب ، ومعناه كالمذبذب والمذبذب (بفتح الثانية وكسرها) . وفعله : (تذبذب) ، وهو مطاوع الفعل (ذبذبه) ، وهو لازم طبعا .

ذبل (بفتح الباء وضمها) الريحان

ويخطئون من يقول : ذبل (بضم الباء) الريحان ، ويقولون ان الصواب هو : ذبل (بفتحها) الريحـــان ، معتمدين على ما جاء في ادب الكاتب ، والاساس ، والمختار والمصباح ، واقرب الموارد ، والوسيط .

ولكن : جاء في النهاية : (في حديث عمرو بن مسعود قال لمعاوية وقد كبر : « ما تسأل عمن ذبلت (بضمها) بشرته » ؟ اي قل ماء جلده وذهبت نضارته).

واجاز استعمال الباء مضمومة ومفتوحة كل مـــن الصحاح ، والصاغاني ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، والمتن .

وفعله ذبل (بفتحها) يذبل (بضمها) ، وذبل يذبل (بضمها فيهما) ذبلا (بفتح فسكون) وذبولا .

ومن معاني ذبل (بفتحها وضمها) :

١ ــ ذبل فوه : جف ، ويبس ريقه مـــن عطش او كرب (مجاز) .

٢ ــ ذبل الانسان والحيوان : ضمر وهزل (مجاز)

٣ ــ ذبل السراج (بفتح الجيم) ذبلا (بفتـــح فسكون) : اصلح ذبالته (فتيلته) .

٤ ــ ذبلت بشرته : قل ماء جلده وذهبت نضارته (مجــاز) .

الذبالة (بضم الذال المضعفة) والذبالة (بضم الذال وتضعيفها مع الباء)

ويخطئون من يسمي فتيلة السراج ذبالة (بضـم

فتضعيف) ، معتمدين على ما جاء في الصحاح ، وفي مقامة الحريري البرقعيدية : « انحرم ويحك القنص والحبالة والقبس والذبالة ؟ » وما ذكره الاساس ، والمختار ، والوسيط ، وقولي في الشباب :

ما عسى يصنع الطبيب اذا ما عاد مضنى مثلي مهيض الجناح
هاله ان راى شبابي يذوي فتولى متمتما ، غير صاح
في غد تغمض الذبالة جفنيها ويسري الظلام في المصباح

ولكن : يجيز استعمال باء الذبالة مضعفة وغير مضعفة كل من : التهذيب ، والمحكم ، والصاغاني ، واللسان ، والقاموس ، والتاج الذي نقل الذبالة (بتضعيف الباء) عن الصاغاني ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن . وتجمع الكلمتان على:

١ ـ ذبال ، قال امرؤ القيس في معلقته (بضم ذال الذبال) :

يضيء سناه ، او مصابيح راهب أمال السليط بالذبال المفتل

٢ ـ وعلى ذبال (بضم فتضعيف) ، قال امرؤ القيس ايضا :

يضيء الفراش وجهها لضجيعها كمصباح زيت في قناديل ذبال

الذبابة والذباب

ويخطئون من يطلق اسم الذبابة على الحشرة المعروفة ، ويقولون ان واحدها هو : الذباب ، ويعتمدون على قوله تعالى في الآية ٧٣ من سورة الحج ، وعلى قول اللسان والتاج أن المفسرين قالوا ان الذباب هنا يعني الواحد .

ويعتمدون ايضا على ما جاء في الكامل للمبرد ، والتهذيب ، وشفاء الغليل ، الذين ذكروا ان الذباب يقال للواحد .

ولكن : جاء في تفسير الجلالين ان الذباب اسم جنس ، واحده ذبابة ، وان الذبابة تقع على المذكروالمؤنث.

وذكر ايضا ان الذبابة هي واحدة الذباب كل من معجم الفاظ القرآن الكريم ، والكسائي ، والاحمر ، وابي عبيدة ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، واللسان ، والمصباح والدميري ، والقاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والوسيط .

وقال المختار والمتن إن الذبانة (بضم الذال وتضعيفها مع الباء) هي الذبابة ، وحذرا من قول ذبانة (بكسر الذال) . وقال ايضا : لحن العوام للزبيدي ، والصحاح ، واللسان ، والمد : لا تقل ذبانة (بكسر الذال).

ويجمع الذباب جمع قلة على (أذبة) ، وجمع تكسير على (ذبان) بكسر فتضعيف : معجم الفاظ القرآن الكريم والصحاح ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والدميري ، والقاموس ، والتاج ، وشفاء الغليل ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط.

ويطلق (الذباب) على النحل (مجاز) ويسمونه ذباب الغيث ، وفي الحديث : « انما النحل ذباب غيث » لان الغيث هو سبب نمو النبات ، غذاء النحل .

ويقول المتن : الذباب للواحد والجمع . ثم يقول: الواحدة ذبانة (بضم فتضعيف) وذبابة (بضم) ، او لا يقال . وهذا الغموض يظهر في كتب التفسير ، واللسان، والتاج ، والمد ، بحيث يحار القارىء ، فلا يدري ايها هو الصواب . لذا أرى ـ جلاء للغموض ـ ان نقول أن الذباب اسم جنس ، واحده ذبابة ، وجمعه اذبة وذبان (بكسر فتضعيف) ، ومن معاني الذباب :

١ ـ ذباب العين : انسانها . يقال : هو اعز من ذباب العين (مجاز) .

٢ ـ فلان ذباب : كثر التأذي منه .

٣ ـ اصابه ذباب هذا الامر : شره .

٤ ـ ذباب السيف : حد طرفيه .

٥ ـ الطاعون (مجاز) .

٦ ـ الجنون (مجاز) .

٧ ـ الشؤم (مجاز) .

٨ ـ الذبابة : البقية من كل شيء ، يقال : على فلان ذبابة من دين (بفتح الدال) ، وبه ذبابة من جوع .

٩ ـ ذبابة الابل : بعوضة تنقل نوعا من الحمى المتقطعة (مجمع اللغة العربية بالقاهرة) .

النابغة الذبياني (بضم الذال) او الذبياني (بكسرها)

ويخطئون من يقول : يعجبني شعر النابغة الذبياني (بكسرها) ، ويقولون ان الصواب هو ضمها . والحقيقة هي ان ضم الذال وكسرها جائزان . وابو هذه القبيلة هو ذبيان (بضم الذال وكسرها) بن بغيض بن وريث بن غطفان ابن سعد بن قيس عيلان .

والمصادر الآتية ذكرت جواز كلمتي الذبياني (المضمومة والمكسورة) كلتيهما : ابن الاعرابي ، وادب الكاتب (في باب ما يغير من اسماء الناس) ، والتهذيب ، والصحاح ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط ، والمتن ، والاعلام .

اكتفى معجم البلدان بذكر الذبياني (بكسرها) . وقال اللسان ان ضم الذال أكثر .

الذرور (بفتح الذال)

ويسمون ما يذر في العين وعلى القرح من دواء يابس ذرورا (بضم الذال) ، والصواب هو : الذرور (بفتحها)، كما جاء في النهاية : في الحديث « تكتحل المحد (بضم فكسر فتضعيف) بالذرور » . الذرور : (بفتح الذال) هو ما يذر في العين من الدواء اليابس . يقال ذروت عينه

اذا داويتها به) ، وكما جاء في التهذيب ، والمحكم ، والحريري في المقامة البرقعيدية ، والاساس ، والصاغاني، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، ودوزي ، واقرب الموارد ، والمتن، والوسيط .

ويجمع الذرور على اذرة (بكسر الذال وتضعيف الراء) .

قال الزمخشري : الذرور او الذريرة (بفتح فكسر) هي فتات قصب الطيب (بكسر الطاء) ، وهو قصب يؤتى به من الهند .

وزاد الصاغاني قوله : وانبوبه محشو من شيء ابيض مثل نسج العنكبوت ، ومسحوقه عطر (بفتح فكسر) الى الصفرة والبياض .

ويسمي الوسيط ما ينثر على الطعام من ملح مسحوق ذرورا (بفتح الذال) .

ذروت الحب وذريته (بفتح ففتح في الفعلين)

ويخطئون من يقول : ذريت الحب (بفتح فتضعيف) اي : نقيته (بتضعيف القاف) في الريح من التبن ، ويقولون ان الصواب هو : ذروت الحب ، اعتمادا على الآية ٤٥ من سورة الكهف ، والآية الاولى من سورة الذاريات ، وعلى ما جاء في معجم الفاظ القرآن الكريم ، ومعجم مقاييس اللغة ، والاساس ، والنهاية ، والمصباح ، والقاموس .

ولكن : ذكر اللسان ومستدرك التاج ان في حرف ابن مسعود وابن عباس : (تذريه الريح) . وجاء في تفسير الجلالين ، في شرح سورة الذاريات : « ويقال تذريه ذريا » .

واجاز استعمال جملتي : ذروت الحب وذريته كلتيهما : الفراء ، والمحكم ، والراغب ، والمختار، واللسان والتاج (الذي ذكر (ذريته) في المستدرك ، وقال ان الواو اعلى) ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن، والوسيط .

ويجوز ان نقول : ذرته (براء مضعفة) الريح واذرته بمعنى : ذرته (بفتح ففتح) . وفي الحديث « ان الله خلق في الجنة ريحا ، من دونها باب مغلق ، لو فتح ذلك الباب لأذرت ما بين السماء والارض » . وفي رواية : « لذرت (بفتح فتضعيف) الدنيا وما فيها » .

واجاز الفراء واد بالكاتب ان نقول : ذروت الحب واذريته .

وفعله : ذراه يذروه ذروا (بفتح فسكون) ، وذراه يذريه ذريا (بفتح فسكون) .

الذكر والذكر (بضم الذال وكسرها)

ويخطئون من يستعمل الذكر (بكسر فسكون) بمعنى التذكر ، ويقولون ان الصواب هو : الذكر (بضم فسكون) اعتمادا على الفراء الذي انكر الذكر (بكسر فسكون) بمعنى التذكر ، وقال : « اجعلني على ذكر (بضم فسكون) منك لا غير » ، اما الذكر (بكسر فسكون) عنده فهو خاص باللسان .

وايد قول الفراء : ثعلب في الفصيح ، والزمخشري في الاساس الذي قال : اجعله مني على ذكر (بضم فسكون) اي لا انساه ، وابو البقاء في الكليات .

ولكن : يجيز استعمال الذكر (بضم الذال وكسرها) بمعنى التذكر كل من يونس في نوادره ، وابو عبيدة ، وابن السكيت في اصلاح المنطق ، وابن قتيبة في ادب الكاتب في باب فعل (بضم فسكون) وفعل (بكسر فسكون) ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، والمختار الذي قال ان الضم والكسر بمعنى ، وابو جعفر اللبلي (ربما كسروا اوله) ، واللسان (الضم اعلى) ، والمصباح ، والقاموس ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد .

ويجيز قول الذكر (بضم الذال وكسرها وفتحها): الاحمر الذي قال ان الضم لغة قريش ، والفتح لغة ، والتاج والمد والمتن الذين قالوا ان الضم اعلى ، والكسر جائز ، والفتح غريب .

واكتفى بايراد الذكر (بكسر فسكون) وحدها بمعنى (التذكر) : القرآن الكريم في الآية ٩١ من سورة المائدة ، ومعجم الفاظ القرآن الكريم ، ومفردات الراغب الاصفهاني والوسيط .

وهنالك الذكر (بكسر الدال وضمها) الذي روى ابن سيده انه لغة ربيعة ، والذكرة (بكسر الذال وضمها) والذكرى (بكسر فسكون) : لغة في الذكر (بكسر فسكون)

ويقول الراغب الاصفهاني في مفرداته : « الذكرى : كثرة الذكر ، وهي ابلغ من الذكر » .

ويقول اللسان الذكر (بكسر الذال) ، والذكرى (بكسرها) ، والذكرة (بضمها) : نقيض النسيان .

وانا لا انصح باستعمال الذكر (بفتح فسكون) ، لانها كلمة غريبة فعلا . وارى الا نلجأ الى استعمال الذكر (بضم فسكون) الا عند الضرورة القصوى ، لان كلمة الذكر (بكسر فسكون) كلمة فصيحة ومألوفة .

محمد العدناني

بيروت : شارع الجامعة العربية
بناية الاسكندراني رقم ٣

نصر الدين عبد اللطيف في «الناس والعصر»

بقلم جليلة رضا

* * *

لعل من اهم الاسباب التي دفعتني الى كتابة هذا المقال، هو انني ـ بصعتي شاعرة ـ ايقنت ان الذي سأكتب عنه، ان لم يكن شاعرا ، فهو يعشق الشعر .. وان الشعر عنده يسري مسرى الدم في العروق ..

اجل .. أن صاحب كتاب « الناس والعصر » ، الاستاذ نصر الدين عبد اللطيف ، مدير تحرير مجلة الهلال ، شاعر يتخفى في زي كاتب ، بل قل يا عزيزي القارىء انه كاتب يعب عبا من منهل الشعر الصافي العذب .

وقد اعترف هو نفسه حين سألته « هي » :

ـ انك تؤثر الشعر فيما يبدو يا مولاي ، فهل تقول الشعر ؟

ـ لعلي الآن لا اقوله ، ولكني .. اشربه !

ولعل من المعالم الواضحة على صدق شاعريته ـ المعالم التي تبهر النظر وتهز الوجدان ـ تلك العناوين الداخلية في مؤلفه الممتع « الناس والعصر » فمن اين التقط صاحبها تلك الاسماء اللؤلؤية ؟ ان لم تكن من بحار الشعر .. من اين جاء بتلك الكلمات المعسولة :

« جرح في قيثارة الغزل » ، « من يشتري ضوء الشمس والقمر ؟! » ، « الليلة نسكن الغربة » ، « عند حافة التمرد والحكمة » . ثم .. هذا العنوان المسكر الحالم : « الحزن سيد القصائد » ..

واعترف انني لو لم اكن قد دفعت بآخر ديوان لي الى المطبعة .. لسرقته ! وليفعل بي صاحبه ما يشاء ، طالما أوقعني تحت اغراء سيد القصائد .. والآن ، وقد وقفت على شاطىء « الناس والعصر » وقبل ان امضي بزورقي الصغير، وامسك بمجدافي المنتظر القلق، والمستند الى حافته الراقصة ..

الآن وقبل ان اعبر هذا النهر .. اجد من الظلم ان أعانق خيالاته واحلامه ، وان اضخم مضامينه واكوانه قبل ان اتيح لنفسي جلسة قصيرة عند مقدمته ..

ان هذه المقدمة تبدو كالصخرة الحزينة الرابضة فوق الشاطىء ، ترنو الى النهر حارسا امينا على كنوزه وعرائسه ..

يقول الكاتب في مقدمته : « ايها القارىء تأخر هذا الكتاب في الوصول أليك امدا بعيدا .. »

كان ينبغي ان تلتقي به ، وبكتب غيره كثيرة من قبله ، على امتداد السنوات القريبة التي ذهبت .. لكنها معوقات النشر .. »

سيدي المؤلف

انا مثلك لن اطيل ، انا ايضا مثلك لا اريد ان يتحول شاطئك الامين الى ساحة عزاء ، فان قصة معوقات النشر هذه مأساة كبرى ، اتركها لفرصة اخرى ..

فكتابك كله مرح وطرافة وبهجة وسخرية .. ونحن احوج ما نكون الى كل هذا في عصرنا المليء بالمنغصات .. فقط لي كلمة لا بد منها أود ان اوجهها الى القارىء .

ان نصر الدين عبد اللطيف عندما خط هذا الكتاب الاول : « الناس والعصر » لم يبدأ من الصفر .

كلا .. والف كلا ..

ان الذي يبدأ من نفسه ، ينتهي اليها .. في آخر الامر .

انالكاتب بداه ، وامامه تجاربه الشخصية .

بداه .. مكتسبا ـ في مشقة وعناء ـ ذلك المحصول المتراكم على مر السنين ، والذي اضفى عليه خبرته وماضيه وحاضره .. والآن ، ها هو الزورق يلثم وجه الغدير ، في شوق وتحنان ..

ها هو الزورق ينساب امام المجهول من ثقة وامان.

ها هو الزمن يرتد بي الى الوراء ، ويعود الى الامام والممكن والمستحيل يلتقيان ..

صور من ممثلين ومسرحيات

وشريط طويل من الذكريات ..

وانا ابحث عن أجمل شيء في العالم ..

أتراه الحب أم الايمان أم السلام .. أم هي الاوهام؟

وهناك .. بعيدا بعيدا ، في ركن رمادي ، وفي بيت ما ، وفي احد شوارع العصر ، اسمع صوت قارئة الفنجان

وبكاء « نزار » على قبر بن حجر

واسمع انين اغصان الشجر

وقد صفعتها يد الريح العاتية .. وارى ان ابوابا تفتح وابوابا تغلق ومن بعيد .. شعراء يقبلون ، ومن قريب ، كتابيدبرون واستوعب فيسعادة ما يهمسون به.

فكل كلمة لها معنى ، وكل موجة تحيط بزورقي لها غاية ..

واقرا نجيب محفوظ في « بداية ونهاية »

وبين كل هذه الصور ، وعلى المدى الطويل .. يتربع « السلطان » فوق عرشه وبدائيه .. و « هي » .. آه

قصور من رمال

ناظم الشعر دائم الاوهام ... يتلهى عن رزقه بالكلام
هائم بالخيال يبني قصورا ... من رمال وراء ركب الانام
مستفز الاحساس اثر القوافي ... بين شكوى لا تنتهي وسلام
يسرج الريح تحت جنح الليالي ... مستثارا يزجي ركام الظلام
يده للجدا وايدي سواه ... في علو تندى كقطر الغمام
فاذا النائبات يوما المت ... ينب عنها نبو سيف كهام
حيث يبقى فريسة الفم طمو ... ما على حزنه كبقيا حطام
يرقب الناس من مكامن ياس ... وذهول وذلة وانفصام
كل درب الى السعادة يفضي ... غير درب قد شق في الاحلام

سورية — رضوان الشيخ محمد

من « هي » تحاجيه وتناجيه ..

اخيرا ..

هأنذا اعود من رحلتي المباركة ، فيتلقفني الشاطىء من جديد على لهف .. وانظر حولي ، ولا شيء قد تغير ..

انما نحن الذين نتغير .. حقا ، انها رحلة جديدة في ادب الرحلات .

انه كتاب « الناس » و « العصر » وعالمه المليء بالمدهشات .

اما وقد دخلت هذا العالم ، وقرات هذا الكتاب ، فلن استطيع ان اقلل من مجهود صاحبه .

بل ان من طبعي ان احيي وابارك كل كاتب يوقد ولو .. شمعة ليستضيء بها الذين يمضون بعيدا في طريق الحقيقة .

بلى .. لا استطيع ان اقلل من مجهود الكاتب المبدع نصر الدين عبد اللطيف ، في كتابه « الناس والعصر »

ولكن ذلك لا يمنعني من القول بانه ليس لنا ان نقيم كتابا على قدر مجهود صاحبه .. فالخير والشرمجهودان متعادلان .

وليس بمجهود البستاني وحده نقيم نوع ثماره .

وليست الثروة وحدها نتيجة عمل ومجهود .

انما هي الافكار التي ادت الى تكوين الثروة ..

فالحقيقة اذا ، ان الذي يلهب فكر الكاتب ويقوي اصراره على الاستمرار ، ويزيد من ايمانه بعمله ، ليست الادوات التي يستعملها في الكتابة ، انما هو تمام العمل وكماله .

هو النفع الذي يعود على القارىء من الكتاب المقروء .

ان تأثير الكاتب على المجتمع عميق .. عميق ..

وكتاب « الناس والعصر » عميق في مغزاه ، طريف في معناه ، لاذع في مذاقه ، فجري في اشراقه .

ساخر في نقده ، عذب في ورده ، جريء الوثبات ، شاعري الكلمات ، فهو لذلك عميق التأثير على قارئه .

والى ان نعود قريبا الى رحلة ثانية جديدة للاستاذ نصر الدين عبد اللطيف ، يجب على كل محب للادب الرفيع الخالص ، ان يحتفظ بكتاب « الناس والعصر » ليزين به مكتبته المنزلية ، حتى تزهو وتزدهر .

مصر الجديدة — جليلة رضا

المواقفية واللغة

بقلم عدنان بن ذريل

* * *

قدمت (المواقفية) العديد من التفسيرات العلمية الجديدة انيوم للسلوك ، والتكيف ، والشخصية ، واللغة، والمثاقفة ، والتنشئة الاجتماعية ، والثقافة وغيرها (١)، وغيرها ..

وهذه التفسيرات، كما رأينا، تتعدى حدود الطريق الواحدة التي لـ (السبب ـ النتيجة) ، الى حدود الطرق المتنوعة التي لـ (المتعدد ـ المتحول) ، وتعتبر السلوك بالتالي مجتلى التفاعل المواقفي في سياق اجتماعي (٢) .

المواقفية والمثاقفة

و (الموقف) في نظر المواقفيين شخصي ، وفي الوقت نفسه اجتماعي ، انه يخص الشخص ، وايضا يعكس اثر المعايشة الاجتماعية .. وان (السلوك) المترتب عليه مظهر لشخصية الفرد ، وايضا مظهر للمجتمع الذي يعيش الفرد فيه ..

و (المواقفية) هي دراسة هذه الوحدة بين النفسي والاجتماعي ، في حياة الانسان الواقعية ، والتي يترجمها التفاعل الاجتماعي الى مواقف ، وسلوكات .. ومن هنا اعترافها بالسلوك المحتجب ، او المتضمن ، واهتمامها بالتالي بالجانب المفهومي في تجربة الانسان ، سلوكه ، لغته وفكره ..

وان (المثاقفة) عملية كتلوية نفسية اجتماعية شديدة الصلة بما تحياه الافراد والجماعات من مواقف حياتية، ولذلك يدرسها الباحثون النفسيون والاجتماعيون من زاوية مظاهرها ، كما تعكسها الحساسية ، والادراك ، والذاكرة ، واللغة ، والذكاء (٣) ، وهلم جرا ..

والمجال اللغوي اليوم من ابرز المجالات التي استطاعت ان تفيد من (المواقفية) فوائد جمة ، وعلى الخصوص (الملفوظية) وتحليلاتها ، والتي سنفرد لها ان شاء الله ابحاثا خاصة ، لغوية ، ونفسية ، واجتماعية ، انجازية وعامة كافة ..

المثاقفة ، والثقافة

وقدكان ـ دركايم ـ يعتبر المثاقفة مظهرا للالزام الاجتماعي اي القسر الذي يمارسه المجتمع على الافراد .. بينما ذهب ـ تارد ـ الى ان المثاقفة ثمرة فعالية تلقائية في الانسان ، هي فعالية (المحاكاة) ، والتي تصبح ارادية .

الا ان علماء النفس الاجتماعيين اليوم يعتبرون المثاقفة عملية مسوغة ، تسوغها حاجات كل من الفرد ، والجماعة .. وان الافراد والجماعة تتثاقف عن طواعية ، وليس عن اكراه ، واذا قلد بعضهم بعضا فليس دون هدف وانما هدفهم التكامل النفسي الاجتماعي (٤) .

ويميز علماء النفس والاجتماع عادة بين ـ المثاقفة والثقافة ـ ، الاولى: تربية فعلية وصميمية تلازم التنشئة الاجتماعية ، وتهدف الى تسهيل التكيف مع الحياة ..

في حين ان الثانية ، ـ الثقافة ـ : ارث اجتماعي ، واضح المعالم ، له استقلاليته ، يتناقله الابناء عن الاباء ، يتفاعلون معه ، ويطورونه ..

ان المثاقفة ـ تمثل الجانب الحركي الحي ـ لتطلع الافراد والجماعات الى النور ، والعرفان ، بينما تميل الثقافة الى ان تتخذ شكلا مؤسسيا محددا ..

وعادة ، تتخذ الثقافة شكل (تراث) معروف ، وايضا شكل عرف ، و (تقاليد) ذات انظمة محددة ، فتمثل الرقي العاطفي ، والفكري والاجتماعي لمجتمع ما .

نظرية سكينير في إكتساب اللغة

ويذهب ـ سكينر ـ في كتابه : (السلوك اللفظي) ، ١٩٥٧ الى ان نمو اللغة يمكن ان يفسر المتغيرات ، التي تدخل في عمليتي : التشكيل ، شيبينغ ، والتعزيز ، ردانفورسمنت ..

ولذلك قال سكينير (٥) بالاشراط الشخصي ، والاجتماعي ، وان معاني الكلمات تتحدد بواسطة (التعزيز) ، اذ تكون الاستعمالات الصحيحة كجواب على مؤثر ، متبوعة بمؤثرات تعززها (٦) .

وعلى ذلك يتعلم ـ الطفل ـ هياكل نحوية ، لا تعتم ان تصبح الاساس في بناء جمل جديدة ، وصحيحة نحويا .. ويكون (فهم الجمل) ، بالتالي ثمرة الاشراط المعزز (٧) .

ان عمليتي : (التشكيل ، والتعزيز) تراقبان ، في نظره غيرهما من عمليات ـ التعلم ـ ، وخاصة الاشكال غير اللفظية ، من سلوكات التكيف ، ادبيتشن ..

ويضيف ـ سيكنير ـ ان (اللامساواة) التي في نمو اللغة في قطاعات المجتمع المختلفة تعود في الاساس

الى الدور الذي تلعبه الإشخاص وشخصياتها ، والثقافة وخصائصها فيها ..

والثقافة لها دور كبير في هذا النمو اللغوي في المجتمع، وقطاعاته .. لان (الثقافة) من طبيعتها تؤكد على - قاموس - خاص بها ، هو يهمها في توضيح نظرتها الى الحياة ، ومفاهيمها في ذلك كله (٨) .

وظائف اللغة

ويرى العالم - ستوتزل - ، في كتابه : (علم النفس الاجتماعي) ، ١٩٧٨ ، ان المجال مفتوح اليوم لدراسة اللغة دراسة نفسية اجتماعية تنصف العديد من موضوعاتها ، والظواهر المتعلقة بها (٩) .

ان (اللغة) فعالية مكرسة بشكل مؤسسي (١٠)، ولها وظائف اجتماعية مختلفة ، ومن خلال هذه الوظائف يمكن دراستها نفسيا ، واجتماعيا (١١) .

قبل كل شيء ، (اللغة) أداة تكيف مع الجماعة ، ولا غنى عنها فيه .. لانها هي الوسيلة الاساسية لنقل القيم ، والمبادىء بين المجتمعات ، والقطاعات ..

وان الفروق الشخصية في - السلوك اللفظي - آنئذ ، لا تعود فقط الى الاستعداد اللغوي ، وانما ايضاالى (الظروف) المحيطة ، (والمواقف) الراهنة ..

ثم ان وظائف اللغة لا تقتصر على التعبير .. وانما هي تعمل ايضا على اكساب (الفرد) قيمة اجتماعية معينة ، بأن تلفت الانتباه اليه في فرديته ، او جماعيته ..

وهناك اخيرا الوظيفة العلاجية ، في الدفاع عن النفس ، والسمعة ، والكرامة، خاصة في الاحوال الهجومية التي لرفع الغبن او الظلم (١٢) .

الكلام شيء اجتماعي ، ومراقب

وبفضل حرص العالمين - لابير وفارنسوورث - على توضيح (التكامل المواقفي) فقد خصا اللغة بدراسة مفصلة ، وتقصيا احوال اظهارها كسلوك مواقفي ، لفظي، ظاهر ، ورمزي ..

اللغة في نظرهما اداة محورية ، وتظل الوسيلة الاساسية لنمو جميع السلوكات الاخرى عند الانسان ، لانها مرتبطة عنده بجوانب عضوية ، ونفسية ، واجتماعية متكاملة متنوعة (١٣) .

الكلام اصوات نموذجية متفق عليها ، وله قيمة بالنسبة للمتكلم ، والمستمع .. انه شيء اجتماعي ، ومراقب ، ويؤدي وظائفه في الحياة الاجتماعية ..

و (الاصوات) في حد ذاتها لا قيمة اجتماعية لها .. الا ان اقترانها بمدلولات معينة شيء اجتماعي ، وبه يصير السلوك اللفظي الى مؤسسية في المجتمع .

التربية ، والفروق اللغوية ..

وهنا تتدخل - التربية الاجتماعية - .. وذلك (١٤) ان الصفات النبروية للغة ، مثل النغمة الكلامية للاشخاص ذات أثر فعال في (نمو اللغة) ..

و (السلوك اللفظي) الحقيقي ، والاول يصير يتبدى عندما يتعلم - الطفل اقتران اصوات معينة بمواقف معينة ، وايضا موضوعات معينة ..

وذلك في الشهر السادس عشر تقريبا .. وبعد التهويم اللغوي يصير الطفل يميز بين الفاظ مفرحة ، مبهجة ، والفاظ محزنة ، مزعجة ..

والاستعمال اللغوي يصير يتكشف عن فروق شخصية في القدرة على الكلام (١٥) .. وهي تعود الى عوامل عدة ، عضوية ونفسية ، واجتماعية ..

و (الفروق اللغوية) نوعان: فروق نبروية، وفروق في اختيار الكلمات .. وهي واقعيا ثمرة المواقف ، وتدرسها الاسلوبية على نماذج متنوعة .

وفي المجتمع الحديث تحتل - الكتابة - مكانة تفوق في قيمتها احيانا مكانة (الكلام) ، ولكن الكتابة تنقصها النبرة ، وحركات الايماء التي تقترن بالكلام (١٦) .

قياس الاستعداد اللغوي

ومن الموضوعات الحديثة التي تسترعي اهتمام الدارسين النفسيين ، والاجتماعيين (١٧) دراسة الاستعداد اللغوي اي الاستعداد للكلام ..

وتنحصر هذه الدراسة في توجيه (اسئلة) عما سيفعله الفرد ، او الناس في ظروف مفترضة ، اي ما يعادل تبين ردود الفعل على (رموز) مواقفية ..

ويعرف - الاستعداد - ، بانه : اتجاه نفسي ، وايضا تحضير نفسي لفعل سلوك معين تجاه بعض المواقف او الموضوعات ..

والنتائج التي دلت هذه الدراسات عليها ، هي :

١ - ان الاشخاص يكتسبون ، عبر التنشئة الاجتماعية مع قابليتهم للكلام ، حزمة من الاشياء يتحدثون عنها في ظروف خاصة ..

٢ - ان اكثر الاستعدادات اللغوية للشخص هي من نشأة ثقافية ، وانها بالتالي مشتقة مباشرة من الجماعة التي ينشأ الفرد فيها ..

٣ - ان اكثر هذه الاستعدادات مستقرة تماما ، ولا تتبدل .. وان التربية الصورية والاعلام الصحفي لا أثر مباشر لهما عليها ، والى اللقاء .

الهوامش

(١) يمكن مراجعة مقالاتنا في مجلة (الاديب) الغراء ، وخاصة الشخصية والموقف ، مايو ١٩٧٨ ، الموقف والسلوك ، اغسطس وديسمبر ١٩٧٨ ، الوجه الكيفي والموقف ، يونيو ١٩٧٩ ، الموقف والحاجة ، سبتمبر واكتوبر ١٩٧٩ ، الموافقية والمجتمع ، سبتمبر واكتوبر ١٩٨٠ .

(٢) اذا لم يعد السلوك مجرد نتيجة سببية ، هي استجابة المؤثر، او منبه ما ، وانما اصبح (السلوك) وظيفة الشخص ، وبيئته ، او دالتهما :

س = د (ش ب)

كما ان (المؤثر) بدوره اصبح يعتبر مثيرا لمواقف عدة ، ومختلفة: المؤثر ـ الموقف ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ .. الخ ..

(٣) كان علم النفس منذ ثورنديك ، وودوورث عام ١٩٠١ استغنى عن دراسة هذه (الملكات) النفسية ، واستعاض عنها بما سمي ب (القدرات) ابيليتي ، والتي سميت مؤخرا ب (العوامل) ، فاكتور ، وتدرس دراسة تجريبية ..

والعوامل اليوم متنوعة ، وتزيد على خمسين (٥٠ نوعا ، وتتعلق بالارادة ، والحساسية ، والعواطف ، والتخيل ، والتامل ، والدفاع عن النفس ، والاندفاع ، والانهيار ، الخ .. الخ ..

ويفسر العالم ـ كاتل ـ السلوك بالملامح السطحية (كتلة الخصائص) ، والملامح الاصلية (العوامل) ، فاكتورس ، وهكذا دواليك ..

والجدير بالذكر ان العالم ـ ستوتزل ـ يعتمد هذه الملكات النفسية ، ويقارن بين الوقائع المختلفة فيها وبين ما يستقيه من العلوم الانسانية ، التاريخ ، علم اللغة ، علم الانسان ، علم الاجناس البشرية ، السياسة ، الاقتصاد وهكذا ..

ورغم اعتماده على هذه العلوم المكملة ، فهو يؤكد على (العامل المواقفي) في المتغيرات الاجتماعية ، والثقافية .. ويعرض باستمرار وجهة النظر (المواقفية) الى جانب غيرها من وجهات النظر ، كما يدرس (المثاقفة) من خلال (الاطر) الاجتماعية لهذه الملكات النفسية ..

(٤) يذهب كتاب : علم النفس الاجتماعي التجريبي ، ١٩٣٧ لاصحابه موري ونيوكومب الى التمييز بين ثلاثة استعمالات مختلفة لمصطلح : (محاكاة) ..

الاستعمال الاول يقصد المحاكاة المترتبة كجواب اشراطي ، ولذلك هي لا شعورية ، والثاني كون المحاكاة الحاصلة سبقتها فترة من المحاولة والخطا ، هي نسبيا طويلة ، والثالث هو الذي للمحاكاة المتعمدة ، والمختارة ، وهو المعنى الشائع ، والمقصود من المحاكاة ..

(٥) لان نظريته تقوم على مبدأ التعزيز ، والذي قال به هول ، ودولارد ، وموللر ، من ان (مصير) الاستجابة يتحدد بما يتبعها من ـ تعزيز ، او عدم تعزيز ـ .. الخ .

(٦) علم النفس لليبير ونيال ، نيويورك ١٩٧٧ ، وانظر موسوعة علم النفس والتحليل النفسي ، لعبد المنعم الحفني ، مصر ١٩٧٨ .

(٧) كتب شومسكي عام ١٩٥٩ مراجعة لكتاب سكينير : (السلوك اللفظي) ١٩٥٧ ، فحمل فيها على سلوكيته ، ثم عزف عن السلوكية الى الاتجاه الذهني الصريح .

وفي نظره ان الانسان مزود باستعدادات معرفية فطرية من قبل اية تجربة عملية ، وان الطفل ياتي الى الدنيا وهو مؤهل بحكمة اكتساب اللغة ، والتي تظل وراء نمو اللغة عنده ، واستعماله الخالق لها .

(٨) كان العالم اللغوي (ميللر) نوه عام ١٩٢١ بان القاموس ، وتبدلاته المعجمية مرتبط بالمصالح الاجتماعية وايضا بالتحولات الاجتماعية .

(٩) انظر هامش ٣ السابق .

(١٠) فعالية مكرسة مؤسسيا .

(١١ و١٢) يمكن مراجعة كتاب ستوتزل : علم النفس التجريبي ، والذي نعتمده في هذه التوضيحات ..

(١٣ و١٤) راجع كتابهما : علم النفس الاجتماعي ، ط ٣ ، عام ١٩٤٩ ، وهو مواقفي اجتماعي في الاساس .

(١٥) يختلف الكلام ن الحركات الايمائية ، في انه سمعي ، بينما حركات الايماء بصرية .. وانه يستخدم تضاعيف الصوت ، وعضلات النطق والسمع ، بينما يستخدم الايماء عدة اعضاء جسمية .

(١٦) الا ان الكتابة تستعيض عن ذلك ب (التنقيط) ، ثم ب (الطرائق الاسلوبية) .. وهي بمثابة تمفصل ايمائي للكلمات المكتوبة.

(١٧) وهناك ايضا موضوع : (الاراء الخاصة) ، ود درسها سميث ، وبرونر ، ووايت في كتابهم : الاراء الخاصة والشخصية ، ١٩٥٦ ، حيث يؤكدون على وظائفها ..

ان (وظائف) الاراء الخاصة في نظرهم ثلاث ، هي :

أ ـ تقييم الاشياء والاحداث ، ب ـ التكيف مع الواقع ، ج ـ التخريج الذاتي في التعبير ، وشكرا .

دمشق — عدنان بن ذريل



فوزي عطوي

فوزي عطوي شاعر الوطنية والحب والجمال

بقلم الدكتور غازي ابو شقرا

* * *

ما أحيلى تلك الساعات الخوالي التي قضاها في مسيرته الطويلة ، لاستكشاف الانسان في ذاته ، بغية اكتناه ادق لذلك الجرم الاناني المتكور الجمجمة الذي استطاب قزميته مستعذبا السفوح ، ومتعاميا عن وهج كتلته الدماغية التي ينطوي فيها العالم الاكبر .

فأين لي ، بعد ان احتضنني شاعر كبير في فندق « أرادوس » ، في ارض «دلمون» السومرية ، امالحضارات ومهد التكنولوجيا التي اعتمدت المد والجزر في تيسير المركبات الماخرة عباب البحار ، من « البحرين » ، في رحلة الانسان لاستكشاف ذاته ومقامه في الكون الاوسع .. اين لي ان اجد العبارات التي تفي نفثات شاعرنا فوزي عطوي حقها ، خاصة بعد ان فاح تفاح لبنان في غرفته البحرينية ، فذكرني برائحة بلدي وروحه التي لم تفارق ولن تفارق جسده ابدا .

ولا غرو ، ففوزي عطوي هو شاعر مطبوع من بلدي لبنان ، بل من شوفنا الحبيب المتكامل ساحلا وجبلا .

لقد عكس شاعرنا على مرآة ذاته ما عاناه ، فكانت سطوره الخالدات هي النفثات الصادقة لتلك المعاناة ، كيف لا ، والشعر مرآة الذات اللاواعية ، مرآة حلم الانسان ، حقيقة الانسان ، صفاء الانسان بعيدا عن المخاتلة وعن المحاباة التي اصبحت ــ ومع الاسف ــ هي السائدة في زمن الدجل على الدجل ، في انتكاسة او ردة لحضارتنا الشرقية ، بعد تهجينها وتمغربها وليس تملغمها وتكاملها ، بل وتناغمها مع الحضارات التي اصيبت في عصرنا المريض بالافول والذبول ، بعد ان طغت الانانيات والماديات وروح القنص والاستلاب والقضم والقصم ، دون الضم ، على الغيرية ووهب الذات ، بعد ان حل الضرب والطرح والقسمة بدل الجمع ، وهو الاساس ، وهو الينبوع .

فوزي عطوي عاد الى الينابيع ، فجاء شعره تبلورا للكلم ، وتقطيرا لحروفه . فالشعر دون تبلور وتقطير اي دون فلسفة او حكمة ، دون ذكرى وعاطفة هو تقطيع واوزان ، كما ورد على لسان احد امرائه الخالدين .

ولم أر في عبوري جسور مرابع شعر فوزي عطوي، ومساري عبر تلافيف سطوره ، وثنايا اخاديدها ، الا العبق المحيي ، الا الشذا ، الا العاطفة والذكرى ، الا الحكمة والاتعاظ من دروس الماضي ، الماضي الدامي المدمي .

ولي عودة الى هذه الاقاحي ، لكنني اسرع فأقول بأنني لمست من باب الادب المقارن تطابقا بين فوزي عطوي ونظيره او سميه قريبي فوزي ابو شقرا .

قال فوزي الاول في ابنته « كارولين » التي ولدت له في بيروت ، وهو في القاهرة (من ديوانه الموج في جزيرة العيون) :

اياك ان تسمعي ما قيل اياك   لما اطل على الدنيا محياك
لو كنت تدرين كم عانيت يا كبدي   لكنت تدرين كم احببت رؤياك
انبئت : رابعة الحلوات قد قدمت   وما سبيل الى استنشاق رياك
قد كنت في جيرة الاهرام متئدا   والنيل مرتعش في جفني الشاكي
وبي جراح ، لو ان الارز كابدها   لبات مثلي ذاك الضاحك الباكي
ما هم رابعة ، ام انت عاشرة   اني لأرمق بالهدبين دنياك

الى ان يقول :

ام انت حب لليلي ممرع عمري   تبارك الحب نحياه ونحياك

وقال فوزي الثاني في ابنته «حنان» يؤرخ ميلادها:

وقال : برابعة قد رزقت   فقلت : لك الحمد في كل شان
ومهما تحملت ارخ : تبسم   فما عاش قلب خلا من حنان

ان المعاناة واحدة عند الشاعرين ، وهي نتيجة تراكم الجاهلية ووأد البنات في ذاكرتنا الجماعية ، في لاوعينا الاجتماعي في مجتمع تشكل نصفه الخؤولة ونصفه الاعمام ، فأراد الذكورية الصرف ، وهي نفح الغرب الذي

يعاني من تمزق العائلة ، لان المرأة الموئل وام المجتمع ومدرسته الاولى تتماهى في اللاوعي الاجتماعي مع الطعام الشهي .

يقول قائل : ان شاء الله « بعريس » او : كان بودنا لو كانت « عريسا » (الولادة المأتم) ، فلولا العروس ، لا يتسنى لعريس الوجود ، فهي أي العروس التي تلده وتلدها .. اما آن لنا ان « نئد » هذا اللاوعي المريض التراكمي فنعود الى الشطرين المتكاملين ، الى النصفين المتناظرين ؟

ففي الحقيقة ان الشاعر هو صناجة عصره، وقيثارة مجتمعه ، وهنا تكمن المعذرة من شاعرينا الفذين اللذين يودان تكامل عيشهما البيتيين الصغيرين ، بنينا وبنات .

ذلك ان يد المنون التي خطفت الابن البكر للشاعر فوزي عطوي ، قد شحذت من عزائمه ، وطهرت نفسه من الادران ، فجاءت نفثاته معبرة ، فهو ذلك « الضاحك الباكي » كما قال ، عندما يسخر من سخرية الاقدار ، ويتسامى فوق المأساة ، فيبارك حبه الزوجي ، ويحيا الحب من جديد ، غارفا من حبر فؤاده الجريح مدادا يروي منه سواقي نفوس محبيه ، وانا واحد منهم .

فلولا المأساة ، لما كانت الملهاة لتولد ، ولولا طعم المرارة لما استطيب حلو العسل ، فتناغم الاضداد يظهر حسنها، كما قيل .

وفوزي الثاني يحمد الله ، ويمجد الحب راكعا ساجدا في قدسية محرابه ، فيقول : « فما عاش قلب خلا من حنان » . قدس الله الحب ، حب كل شيء : في اللوحة الطبيعية الكبرى ، وهي أي الحياة في مسيرة الانسان عبر الانفاق والمتاهات ، في مسرحية دنيوية عبثية تكون الملهاة ـ المأساة حلقة دائرية فيها ، يطهرها الشعر، ويسمو بها الى مراقي القدسية بعد العذاب على طريق الجلجلة الذي هو وحده يصقل الذات فيسمح للنفس الشاعرية بالتوهج فالسريان عبر ترجماته في اعمدة القوافي ، كدوب السكر في النجيع ، تلمسا للملمة شعث الامة بعد تفتتها الطوعي ، ودمل جراحات نزيفها الدامي .

ألم نسمع فوزي عطوي منشدا وطنه الجريح ، متأوها :

اتلوم يا وطني اذا تاهت خطاي على الدروب
ومضيت استسقي سراب الوهم والامل الكذوب
نهشوك يا وطني ، ولم تعوزهم اشداق ذيب
قتلوك ، ما رفت لهم عين على وقع الحبيب
صبوا عليك قذائف الاجرام والحقد الصخوب
وتربعوا فوق الركام ، فكان جرحك من نصيبي
هم جاحدوك الراكمون على تفاهات الغريب
هم بائعوك بارخص الاثمان في اليوم العصيب
فامحت نيرون البعيد بكل نيرون قريب

وهتفت : لا يا جاهلية ، لم تغيبي ، لم تغيبي
ما زلت في التاريخ خالدة السفاه بلا رقيب

الى ان يقول مخاطبا الوطن الجريح ، ومؤكدا على الايمان بالامل القادم :

ما انت بالوطن المباح ، ولست بالوطن السليب
ما زلت مئزرك الشموخ ، يتيه من ضوء وطيب
ستعود نسرا رائع الوثبات بالعزم الدؤوب
سيعود لبنان الندي سيغيب لبنان الشحوب
ستعود يا وطني ، كما كنت ، الضياء بلا غروب

لقد حمل فوزي عطوي عن وطنه كل آلامه ، فهام على دروب ذاته ، مستلهما شعره لدرء الاخطار عن وطنه، ممجدا فرسانه الذين ساروا في طريق الشهادة ، راسمين معالم الطريق لبناء وطن الانسان في لبنان .

الم نسمعه ، منذ قليل يقول لوطنه عن هادمي مجده:
وتربعوا فوق الركام ، فكان جرحك من نصيبي ؟

الم يقل في الشهيد والزعيم الوطني كمال جنبلاط، بعد ان افلت شمسه التي سطعت في دنيانا فملأ الدنيا وشغل الناس :

تشمس الاهة في الجفن الذي ... البس الشمس اكاليل السناء
اجتلي في ناظريك المنتهى ... اجتلي فيك سماح الاصفياء
اجتلي لبنان يبقى جبلا ... مثلما شئت على الدهر وشاء
اجتلي .. تعذر حزني يا اخا ... كان لي في الماجدين الاصفياء
خانني الدمع ، فلا تعبأ به ... ليس هذا الدمع دمع الجبناء
انه الحب الذي رويته ... ضيع اليوم عبارات الرثاء

فهل يختلف هذا القول ، معنى ومغزى ، عما نطق به الشاعر الكبير عمر ابو ريشة في رثاء غازي الاول :

تشتهي لو تجمد النور احجارا ... فوشى بهن تاج البلاد
وتخلي حوافر الضمر الخيل ... على كل كوكب وقاد

فان الباس الشمس اكاليل السناء ، في لغة فوزي عطوي ، لا يختلف في شيء عن تجميد النور واستحالته احجارا ونيازك وأكاليل فوق هامات الاوطان ، في لغة عمر ابو ريشة .

ويبلغ الحنين عند فوزي عطوي الى تراب وطننا الغالي ، ذروته العليا ، عندما ينفث كلماته التي ترق حتى تستعطف ، وتقوى حتى تستنكف ، فيذكرنا بالمتنبي عندما تضوع قائلا :

حببتك قلبي، قبل حبك من نای ... فقد كان غدارا ، فكن انت وافيا

يقول فوزي عطوي في قصيدته « لبنان والحب » (من ديوانه القوافي المبحوحة) التي يبرز فيها حنين الشعر المهجري بأسنى صوره ، ولا سيما وقد نظمت والقيت في الكويت ابان اشتداد المحنة اللبنانية :

اكتب الان ما لا يكتب الانا ؟ ... يا الطف الناس افراحا واحزانا
يمر عيد هوانا ـ والهوى تعب ... يبث عبر نجاوانا شكاوانا
باي لمسة عطر تستثار يد ... كانت تحيل شهور العام نيسانا
أكتب الان ؟ هل سطر انمنمه ... ولا اضاحك في منفاي لبنانا
هل ينسج الحب من شعري مآزره ... والحزن يرمضني قلبا ووجدانا

تمتع ...

علام ظللت تنظر عن يمين ... ولم تعر التفاتا للشمال
أكون القبح يجلس عن يسار ... وعن يمناك رائعة الجمال
تمتع بالجمال فما عجيبا .. لشوال .. مراقبة الهلال
فهذا الحسن سوف يصير قبحا ... وليل العيد يذهب في الليالي

البصرة ـ العراق

سالم علوان الجلبي

ما اخترت هجران لبناني على ترف ... ولا نايت عن الاحباب سلوانا
لكن ما انهار من خلق الرجال به ... ادمى بقاياه ، فارتاعت بقايانا

الى ان يقول متسائلا :

ما للملائك تنميها ابالسة ... فتستبيحك انسانا وعمرانا
أانت لبنان ؟ يا مجدا نضيعه ... ما كان اقساك في الدنيا واشقانا

واما « شباب الارز » فان فوزي عطوي يستنهض هممهم ، ويشحذ ارادتهم ، قائلا لهم :

توائبتم الى الدنيا شبابا ... ترون المجد امرا مستجابا
على اهدابكم يختال ومض ... ابي اللمح يجتاح الضبابا
نهلتم من معين الفكر فكرا ... وزدتم فوق باب العلم بابا

ثم تبلغ ثورته على العهر السياسي منتهاها حين يقول في القصيدة ذاتها :

عدوت الى السياسة مستطارا ... فلم احسن سؤالا او جوابا
وكنت اضل ضليل لاني ... حسبت الشعب ينتخب انتخابا
بلوت مروءة ، وبذلت حبا ... فلملمت الشتيمة والسبابا
ومن عجب الشعوب تعق نسرا ... وتجحده ، وتاتم الغرابا

وفي تحيته للبحرين الشقيقة ، يظل هائما بلبنان ، يسعى الى لملمة جراحاته ، فيقول :

ائم الحضارة ، لا من ولا كدر ... ان كان عذر فاني جئت اعتذر
ام الحضارة يا بحرين ، ما نعمت ... الا بفيئك احلام لنا غرر
ابالمكارم في ارض يشرفها ... صيد كرام ، وغيد نزه طهر
ام بالمروءة يصفيها رجال علا ... فالنبل يخطر مزهوا متى خطروا
ام بالخليج على عطفيك منطرحا ... يشوقه اللؤلؤ المكنون والدرر
ام بالمواويل في شطئانك انتثرت ... و(الغوص) اغنية يشتاقها السحر
ام بالنخيل سموح الوجه مؤتلقا ... ما طاب لولاه لا زهر ولا ثمر
قد تشرقين بشجوي، وهو محتفن ... جرحا بنفسي عميقا ليس يندثر
كنا اذا اخضوضرت دنيا نعانقها ... فبات لبنان لا عطر ولا زهر

ولا ينسى فوزي عطوي رفاق الدروب من اخوانه، فيقول في رثاء الشاعر المحامي انطون قازان :

هذي المنابر اذ اسكرتها طربا ... تبكي شبابك اذا اوردتها الكدرا
لهف البيان وقد خلفته تعسا ... ينساب منحدرا ، ينجاب منحسرا
لهف الفصاحة ، لم تفرح جنائنها ... حتى تهاوت شذا، واحلولكت زهرا
ماذا سكوتك والاحداث ناطقة ... هل يسكت الموت من يستنطق الحجرا

اجل ، ان الشاعر يستنطق الحجر ، كما تستلب النبتة الخضراء الطاقة الشمسية ، او كما يستجلب النبات المطر ، فيستمطر !

ولعل فوزي عطوي قد بلغ قمة البلاغة والرمزية الموحية حين دمعت عينا قوافيه في مأتم الفنان فريد الاطرش ، فقال :

اي نجم غاب ، اذ انت تغيب ... لست ارثيك وانت العندليب
كنت ان رجعت همسا حائرا ... تورق الصحراء والقفر الجديب
واذا رنمت انغام الهوى ... يزهر الرمل ويفتر الكثيب

فأهلا بأزهار الرمال ، وافترار الكثبان ، واهلا بشاعرنا الرمزي الذي نفحنا بديوانيه الجديدين « القوافي المبحوحة » و « الموج في جزيرة العيون »، بعد دواوينه الماضية : « دم وفم » و « شموع المعبد » و « دم الثوار » و « تحت الرماد » ، فاجلى بصوره الشعرية الاخاذة مواسم العز ، وأزاح عن ناظرينا السأم بلمسة ريشته الشعرية الساحرة .

غازي ابو شقرا

المكتب الرئيسي لمنظمة اليونسكو
بيروت ـ بئر حسن ـ بولفار المدينة الرياضية



سعيد ابو الحسن

نيران على القمم
سيرة ذاتيّة

بقلم سعيد ابو الحسن

* * *

(١)
الولادة ـ الاسرة
اولادي الاعزاء

كثيرا ما كنتم تلحون علي لاقص عليكم بعض الحوادث التي عشتها او عايشتها ـ وكنت الاحظ دائما الاثر العميق الذي كانت تتركه احاديثي عن الماضي في نفوسكم .

تريدون ان تعرفوا شيئا عن الاستعمار ، عن كفاح الشعب ضد الاستعمار ، عن الثورة ، عن المعارك المجيدة، عن السياسة وملابساتها .

تريدون ان تعرفوا ما كان موقف والدكم من المشاكل القومية المختلفة ، كيف تعلم ، كيف عاش، هل ادى واجبه كمواطن وكانسان ، وما هو رايه في قضايا الحياة الكبرى؟ كيف كان يعيش والدكم في صغره، في القرية، كيف كان يعيش جدكم وجدتكم ومعاصروهما من ابناء الجيل السابق ـ وكيف كانوا يفكرون ، وكيف كانوا يقاتلون ويتعاملون . فلقد كبرتم في منطقة من بلادكم غير المنطقة التي ولدتم فيها ، غير المنطقة التي ولد فيها والدكم وعاش فيها اجدادكم الاقربون . وكنتم تستغربون الكثير من عادات اهل المنطقة التي كبرتم فيها .

وتريدون ان تعرفوا أوسع ما يمكن من المعلومات عن تلك المنطقة الاخرى ومشاكلها وعادات اهلها . ولقد اتيح لكم ان تزوروا منطقة والدكم واهلكم . لكنها كانت زيارات خاطفة لا تتيح لكم الاطلاع الكافي على كل شيء . ولا تتيح لكم ، بصورة خاصة ، ان تعرفوا ما تريدون معرفته عن ماضي تلك المنطقة . فانتم رأيتموها تنعم بالامن والاستقرار والمدارس منتشرة فيها والثقافة شاملة جميع سكانها ، ورأيتم شيئا من الرخاء يعم ارجاءها . رأيتم الشبان يتسابقون الى خدمة العلم (الجندية) وهم يعتبرونها اكبر شرف يلصق باسم المواطن .

ولم تشاهدوا الجهل والبؤس والفوضى ، لم تشاهدوا جيوش الاحتلال الاجنبي، لم تشاهدوا المستعمر وفظائع الاستعمار ، لم تروا الزمن الذي كان الناس فيه يكرهون الثوب العسكري ، لان هذا الثوب كان يذكر الناس بقوة الاستعمار قبل كل شيء .

ولذلك تريدون ان تعرفوا شيئا عن ذلك كله : اذكر عدنان وهو يرجو مني ان احدثه عن معركة من المعارك ومعن وهو يسألني عن مرحلة من مراحل النضال السياسي ورافع وهو يطلب الي ان أقص عليه حادثة من حوادث حياتي الخاصة يوم كنت صبيا صغيرا . وحينما كبرت اميرة بدات توجه الي الاسئلة ذاتها .

وكنت اريد ان ينحصر الحديث بيني وبينكم ـ ولكني فكرت في قلة الكتب العربية التي تهتم بالحياة الاجتماعية الشعبية ، حياة القرى حياة الفلاحين والعمال ، في فترة مهمة من تاريخنا الحديث ، ورأيت ان اهالي منطقة من المناطق يجهلون كل شيء تقريبا عن حياة اهالي المنطقة الاخرى بسبب من صعوبة المواصلات والتجزئة التي فرضها الاستعمار على بلادنا ، فجعل كل بقعة منها تعيش وكأنها منفصلة تمام الانفصال عن سائر البقاع . وحسبت ان رغبة القراء لن تكون اقل من رغبتكم في معرفة ما تتوقون الى معرفته ، وانه من الضروري ان يجد الناس في الزمن الآتي سجلا لحياة الشعب في حقبة من الحقب ومنطقة من المناطق ، الحياة الحقيقية كما هي لا كما يشوهها مصوروها من رجال السياسة ، الحياة بجمالها وقبحها ، بانتصاراتها وانكساراتها ، الحياة وكأنها شريط يستعرض ، تهتم قبل كل شيء بالانسان ، بابن الشعب،

بالفلاح بالعامل ، بالقاعدة التي صنعت التاريخ ، لابالزعامة التي استغلت تضحيات القاعدة، ولابالقيادة التي استثمرت مجهودات الجماهير وعواطفها وعرقها ودموعها ودماءها .

ولذلك قررت ان يتخذ حديثي اليكم صورة الكتاب، وان يطبع وينشر ، فلعل باحثا يقع عليه في المستقبل فيجد فيه مصدرا من مصادر التاريخ الاجتماعي والسياسي — للتاريخ الانساني النضالي لفترة معينة من حياة العرب في بقعة ضيقة من بقاعهم العزيزة .

والذي ارجوه هو ان تقرأوا هذا الكتاب وان يقرأه غيركم فلا تملوا ولا تضجروا ، ولا يمل ولا يضجر ، بل تجدون فيه ويجد شيئا يستحق ما صرف فيه من وقت، ما انفق في قراءته من ساعات .

ارجو الا تسألوني بعد هذه المقدمة لماذا كتبت اليكم ولكم هذا الكتاب ، وان اكن مستعدا لتقبل كل سؤال تطرحونه عن بعض الحوادث التي تبقى بين السطور او وراء الكلمات .

لان هذا من حقكم — على انني اؤكد لكم انني لم اخف عليكم حادثة واحدة اخجل ان اطلعكم عليها .

ولكني لم اشأ ان اسرد الا الحوادث التي حسبتها ذات شأن او تأثير في حياتي او حياة المجتمع الذي عشت فيه .

ما عليكم بعدما عرفتم هذا الا مباشرة القراءة فلا اريد ان اطيل الوقوف بينكم وبينها .

اول مشهد وعيته منذ ولادتي ، ولم يفارق ذاكرتي ابدا ، هو مشهد عدد من البغال الدهماء ، المزينة صدورها واعناقها بعقود جلدية مزينة بالودع الابيض ، في حوش دارنا . فكأنما ارتبطت حياتي بالكوارث ، وآثار الكوارث منذ بدايتها . فقد سألت والدي عن تلك البغال ، وافهمني بلغة يدركها الاطفال ، ان هذه البغال لأقارب لنا ، من اسرتنا ، من لبنان . وانهم قادمون لنقل القمح من بلادنا الى بلادهم لحدوث مجاعة كبرى لديهم بسبب الحرب الكونية . وانقطاع الواردات من الخارج ، ومصادرة السلطة العثمانية الحاكمة آنذاك لجميع المحاصيل لحساب جيشها ، ولولا بسالة أهل بلادنا — جبل حوران — لما بقي في البلاد حبة من القمح لنا او لسوانا . وكان بعض الاقارب من لبنان يقدمون للاقامة بيننا طوال مدة الحرب — المجاعة

من هذا المشهد الاول الذي تفتح عليه وعيي ، انطلقت أحدد مكاني من الدنيا : اذا كان هؤلاء هم اقاربي من لبنان فنحن اذن من اصل لبناني — من المتن بالتحديد — ووجودنا في هذه البلاد ، وفي جبل حوران بالذات ، وجود طارىء نسبيا ، وهذا الوجود تفسره هذه الهجرة الجزئية التي شهدتها بذاتي : فنحن اذن — بوجودنا كله — نتاج كوارث قديمة: حروب ضد الدول الغازية، او حروب اهلية ، او معارك قبلية .

وسألت والدتي عن عمري . فعرفت انني في ذلك العام عام ١٩١٦ (كما علمت فيما بعد) كنت في الرابعة — وانني ولدت في سنة كان عيد الاضحى يقع فيها في شهر تشرين الثاني (١) . وكانت لي اخت واحدة تكبرني بسنتين — فهي ولدت سنة سامي باشا الفاروقي — والولادات تؤرخ بالغزوات — اي السنة التي كانت فيها ثورتنا الثالثة او الرابعة على الاتراك تقمع بجيش تركي قائده اسمه سامي باشا . وكانت والدتي تتيمن كثيرا بي — فقد رافقت ولادتي مظاهر تعتبرها علامات خير : فقد ولدت فجر ثالث او رابع ايام العشر — وهذا يعني ان عمري يوم العيد كان اسبوعا . ولعيد الاضحى عندنا مكانة لا تدانيها مكانة .

وقد حلمت امي قبل ميلادي بأيام ان فارسا وسيما وجيها شابا جاء يسأل عن بيتنا وينزل علينا ضيفا ولايريد ان يرحل وكان كل شيء في هذا الفارس يدل على انه ذو شأن عظيم . هذا الفارس هو انا : هذه كانت قناعة والدتي ولا يمكن لاحد ان يناقشها فيها . ورافقت والدتي ايضا وفرة في المحاصيل ، وازدهار في تجارة والدي ، واغنامه وخيوله . ورافقتها ايضا عملية بناء وتجديد لدارنا ، فقد اضفنا اليها من الغرب غرفة كبيرة عالية السقف رحبة ، يقوم سقفها على قنطرة جميلة طرح عليها الخشب الجميل من الناحيتين ، وطرح فوقه (دفوف) متحاذية غطي الخط الفاصل بين كل دفتين بقدة رقيقة كالقشرة مزينة بالرسوم . ويتبع هذا (البيت) كما يسمون الغرفة عندنا ، خزانة صغيرة شمالية غربية خصصت لحفظ المؤن التي تحتاج الى البرودة كالسمن والدبس والزبيب واللحم المقدد وهذه كانت اهم مدخراتنا تلك الايام . اما الحبوب والالبان ومشتقاتها ، فكان لها مكان آخر ، في بيت شمالي ، بابه الى الجنوب ، وفيه كنا نمضي الشتاء ، حوالي موقد مصنوع من الصفيح ، يصنعه سمكري في بلدتنا ، ونوقد فيه القصل (عيدان الحنطة) ، والجلة ، وهي زبل البقر المجفف ، والبعر ، و (الكسح) وهو بقايا الحيوانات شبه المتحجره في الكهوف ، كان يقوم بجلبها اناس يتجرون بها . ونوقد ايضا (الزبارة) وهي عيدان الكرمة ، والشيح ، والفحم الحطبي . ولكن هذه المحروقات (المترفة) كانت تخصص لغرفة والدي ، وهي غرفة يقيم هو فيها الى جانب قهوته ويستقبل فيها الضيوف — وكان من مميزات هذه الغرفة ان لها نافذة الى الجنوب تطل على قطعة ارض امام بيتنا غرس فيها والدي بعد ذلك التاريخ شجرة من التوت الشامي ملاصقة للشباك كبر حجمها وطابت ثمرا ومنظرا ، وللغرفة نافذة ثانية تطل على حوش الدار وهو فسحة منخفضة مسورة تربط فيها الحيوانات ، حيواناتنا او ركائب الضيوف . ويفتح على الحوش من الغرب

اسطبل (باكية) تؤدي فيه ما كان لدينا من ابقار وخيل: فقد كان لدينا ثوران للفلاحة ، ثوران جميلان قويان يسميان الفدان، ومن هذه التسمية اصطلاح أهالي منطقتنا على تسمية مجموع الاراضي التي يستطيع فدان واحد ان يزرعها ويفلحها في العام (ارض فدان) وما يفلحه الفدان في النهار الواحد يدعى (مفلح فدان) - ويطلقون على ارض (نصف الفدان) اسم (ارض ثور) اي انهم يرمزون الى مقدار الارض براس البقر .

والى جانب الفدان كانت لنا بقرات (جولانيات) - اصلها من منطقة الجولان - للحليب . وكانت هذه البقرات مدللات نناديها باسمائها ، وكانت عندما تعود من الرعي مساء تجار حين تقبل على البيت منادية عجولها ، فنستقبلها بالترحيب ونناديها باسمائها من بعيد ، وعندما تصل الواحدة منها وتبدأ بارضاع عجلها كنا نمسح ما علق بجلودها من غبار وقش وهي تهوم براسها فرحة سعيدة بما تعطي وما تنال ، وتلحس جلد عجلها وتضفي عليه من حنانها الشيء الكثير .

لا ان هذه الوداعة وهذا الحنان كان يمكن ان ينقلبا شراسة ووحشية وعدوانا عندما تثار احداهن وتستعيد طبيعتها الوحشية ..

وقد خبرت ذلك بنفسي فيما بعد وكدت افقد حياتي خلال هذا الاختبار . فقد حدث مرة ان كنا جميعا، ما عدا والدي ، نلعب بأرض الدار ، فيما دخلت من البوابة احدى بقراتنا - وكانت مغضبة نتيجة لتعرض بعض الصبية لها قبل وصولها الى الدار ، وكانت لها عجلة رضيع - وبدلا من ان تستدير يسارا وتنزل الى الحوش حيث تنتظرها عجلتها هاجمتنا فافسحنا لها المجال لتمر باتجاه صدر الدار ، ولكنها استدارت وكان، احد اخوتي يسند ظهره الى جدار الدرج ، ووجهه الى الجنوب - فرجعت البقرة الى الوراء وتحفزت لتنطحه في صدره، وكان قرناها منتصبين الى الامام كخنجرين حادين وفي اسرع من لمح البصر وبصورة غريزية احسست ان اخي سيقتل حتما اذا لم تمنع البقرة من نطحه - ولم يكن هناك مجال للتفكير او التردد . فقفزت قفزة في الهواء ، وامسكت بقرني البقرة، ودفعتها الى الوراء، وكان جسمي وحده عازلا بين قرنيها وصدر اخي - لقد انقذت اخي. ولكن البقرة حملتني بقرنيها ودارت بي دورة ، والقتني من فوق ارض الدار الى اسفل الحوش ، وكانت ارض الحوش صخرية ، الى هنا كنت ما ازال واعيا - اما اللحظة التي وعيت فيها بعد ذلك بزمن لا ادري كم هو، فقد وجدتني في فراشي ممددا والضمادات تحيط براسي تغطي عددا من الجروح البليغة - لقد تعرضت اذن لخطر حقيقي ، فانقذت حياة اخي واكتسبت بذلك شهرة - ومقابل ذلك سقطت مرة في البركة فكدت اغرق لو لم تسارع اختي الكبرى فتنتشلني .

وكانت لنا فرس شهباء من الاصائل المشهورات من فصيلة (عرقوب) وكانت جميلة سريعة هادئة ، وكان من اسباب سعادتي ان امتطيها واذهب بها أوردها بركة ماء قريبة من بيتنا ، اسمها (بركة الغنم) .

وكنت اكثر سعادة عندما اركب خلف والدي حين يذهب الى قص الغنم (جز الصوف) . فقد كان لناقطيع من الغنم عند راع من البدو من عشيرة المساعيد ، وكانت علاقاتنا مع الراعي واهل بيته علاقات عائلية صميمية - اذا ذهبنا لقص الصوف حملنا معنا البن والسكر والشاي والحلاوة بخرج على الفرس . والراعي وهو صاحب بيت واسع ، يذبح واحدا او اكثر من خرافنا للرجال الذين يقومون بعملية جز الصوف بمقصات كبيرة من الحديد - فهم كانوا يقومون بهذا العمل تعاونا - ويكتفون بما يقدم اليهم من طعام وشراب وحلويات وجزة وصوف لكل واحد - اما انا فكنت اقضي نهاري في الهواء الطلق ، العب مع اترابي من الاولاد ، ونأكل ، ونشرب ، ونلاعب الحملان ، حتى ينتهي العمل . واعود خلف والدي كما قدمت ، وكان القصاصون يغنون الحانا جميلة تتناسب وحركة ايديهم - كنا نترك الصوف عند الراعي الذي يرسله على الجمال بعد ذلك - وكنت اشهد عملية اخرى تجري لهذه المناسبة وهي عملية وسم الخراف وهي طبع علامة على اذن الخروف وفوق انفه بالسيخ المحمي بالنار .

وبعد الكي مباشرة يوضع مكان الكي قليل من اللبن الممزوج بالملح - وهكذا تعرف عائدية الخراف وتحمل الوسم ذاته الذي تحمله امهاتها . وكذلك نشهد عملية (الفلاج) اي اقتسام الخراف بين اصحاب الغنم والراعي المكلف حراستها ورعيها . وكان له ربع المواليد ، وعليه ان يؤدي مقدارا معينا من السمن ، واللبن القطيع (المسحوب زبدة) الذي كنا نصنع منه (الكثاء) وهو الاسم المحرف للاقط .

ومما اذكر ذكرى خاصة انني سمعت والدي يغني لاول مرة وآخر مرة في حياتي ، في احدى هذه الرحلات الممتعة ، كنا سارين قبيل الفجر ، وآخر النجوم تتهيأ للتواري خلف ضوء الفجر الجميل القادم .

واذا انا اسمع والدي يرفع صوته الجميل ببيت من العتابا لم اسمعه من شخص آخر ابدا ، وما سمعته بعد ذلك من شخص آخر ابداً . كان البيت يقول :

سريت بليل وبوجهي بنات ال - نعش ، والهم بقلبي بنى تل

هذول البيض يا محمد والبنات ال - غوى ، ولين وانطوني قفا

واذا عرفنا ان بنات النعش هي مجموعة النجم القطبي ، واننا كنا متجهين شمالا وبوجهنا بالفعل مجموعة

النجم القطبي ، ادركنا مدى جمال البيت في تلك المناسبة .

وكان يقوم بالعمل الزراعي لدينا رجل اسمه (الشريك) او (المرابع) . وهو كما يدل عليه اسمه ـ يقوم بعمله مقابل ربع الغلة ـ فنحن نقدم الارض وآلة الفلاحة والبذار ، وهو يقدم عمله وهو تقديم العلف للفدان وسائر الحيوانات ، والفلاحة والزرع والحصاد ، يأخذ علاوة على ربع الغلة مقدارا من القمح مؤونة له ولعائلته ، يأخذها سلفا ، ويأخذ بعض العينيات كاللباس والعطاءات المتنوعة ـ وهو ـ عمليا وبحكم وجوده الدائم في البيت خارج اوقات العمل في الحقول ، وطوال ايام الشتاء بخاصة ، يقيم معنا ويأكل معنا . فلم الاحظ قط اي فرق بيننا وبينه وسيرد ذلك بالتفصيل فيما بعد . فنحن كنا من الطبقة الشعبية او (العامية) حسب الاصطلاح المحلي اي مجموعة الملاكين الصغار الذين حصلوا على الارض انتزاعا من الاقطاعيين القدامى، او شراء بمال جنوه بعملهم كمرابعين لدى مالكين آخرين ، او كعمال زراعيين موسميين .

وستجيء المناسبة لاستفسر من والدي عن كل هذا فلقد بدات احدد وضعنا في المجتمع تدريجا مع الزمن . لاحظت اولا اننا من طائفة يسمونهم الدروز ، وهم يسمون انفسهم « الموحدين » او « بني معروف » ويسمون مذهبهم مذهب التوحيد . وهو الاسم التاريخي لهم . كنت ارى والدي يعمل تاجرا في دكان يقع داخل القرية ، بينما بيتنا كان خارج القرية بين الكروم على بعد نحو خمسمائة متر من حدود البناء المتراكم المتلاصق الذي تتكون منه قريتنا .

وبناء قريتنا من الحجارة السوداء ـ البازلت ـ وكان لوالدي شريك من الطائفة المسيحية ـ الروم الارثوذكس ـ اسمه اسعد العيد وكان رجلا يستحق الاعجاب والتقدير ـ وكانت علاقاتنا المتبادلة على أحسن ما تكون العلاقات متانة وصفاء . وكان ذلك يوحي بأن الرباط القومي اكثر اصالة واقوى مما يظن ـ وقد تأيد ذلك ـ بأني رايت في صغري رجلا نابلسيا اسمه الحاج عبد الرزاق من الطائفة السنية ينزل علينا ضيفا طوال اكثر من شهر وكان الحاج عبد الرزاق الذي يرتدي لباس اهل نابلس العربي مع العقال الاسود الغليظ فوق كوفية صوفية رمادية منقطة بالاسود بينما كان زي والدي زي شيوخ الدين المسلمين وهو يذكرني صورة وزيا بالشيخ محمد عبده ـ وآسف انني لا املك صورة لوالدي ، ولكنني لا ارى صورة الشيخ محمد عبده مرة الا ذكرت والدي لغرابة الشبه بينهما .

وكان لوالدي علاقة تجارة مع الحاج عبد الرزاق فقد زاره في نابلس وذهب واياه الى حيفا وعكا ولم يؤثر في علاقتهما المتينة النظيفة اختلاف مذهبيهما ولم يجد التعصب طريقا الى قلبيهما ـ رابطة القومية ورابطة العمل والانسانية رابطة قوية .

وجدت ـ اذن ـ في بيت بلغ فيه التسامح الديني والمذهبي وبالتالي الفكري مستوى رفيعا .

والمشهد الثاني الذي ما يزال عالقا بذهني عن تلك الايام هو يوم عودة فرساننا من العقبة ، حيث كانوا قد ذهبوا للانضمام الى جيش الامير فيصل بن الحسين. وما زلت اذكر يوم وصل احد اصدقائنا البدو امام دارنا، واناخ ناقته واعطانا كمية من السكر والارز ، فرحنا بها فرحا كبيرا . لانه كان قد مضى على انقطاعها زمن ليس بالقصير . وما ازال اذكر ايضا يوم ذهبنا لاستقبال فرساننا العائدين وكان بينهم احد اخوالي وبعض الاقارب وكانت وجوههم قد اصبحت شديدة السمرة ـ من شدة الحر ، حتى اني عندما حملني خالي بين يديه تعرفت اليه في صعوبة .

وكان وصولهم يعني ان الزحف العربي باتجاه دمشق قد بدأ . ولهذا ما لبث هؤلاء الفرسان ، ومئات غيرهم ممن انضموا الى الجيش الزاحف نحو الشمال ، ان غادرونا بين هتاف الشعب واهازيجه ودعاء النساء بالنصر . وكان والدي بين هؤلاء الفرسان الذين دخلوا دمشق وعادوا منها ببنادق المانية او عثمانية جديدة تركها الجيش المحتل المنهزم مع كميات كبرى من الذخيرة . وكم كانت فرحتنا عندما عاد والدي على فرسه الشهباء ، ومعه هذه البندقية الالمانية (السواري) يلمع خشبها الاحمر وفولاذها الازرق النظيف ، ومعه من الذخيرة ما تكاد الفرس ان تنوء بحمله .

كان علي في تلك الايام ان ابدأ الذهاب الى المدرسة. وكانت مدرسة بلدتنا كناية عن غرفة كبيرة مستطيلة يتصدرها المعلم وهو شيخ معمم ، عرفت فيما بعد ان ما كان يعرفه من العلم لا يتجاوز القراءة والكتابة ومبادىء العمليات الحسابية الاربع . وكانت قراءته وكتابته بلا قاعدة : يحسن قراءة النصوص بحركاتها دون ان يعرف شيئا عن سر هذه الحركات ولماذا تنتهي اللفظة بضمة بدلا من ان تنتهي بفتحة او بكسرة ، ودون ان يدرك الفرق بين المفرد والمثنى والجمع . وكان أول كتاب يبدأ به « الالفباء » او « سلاسل القراءة » . وكان الطفل يترك لنفسه يتعلم بجهده الخاص ، مقتديا برفاقه ومستعينا بمن هم اقدم منه . وجميع الاولاد في هذه الغرفة يقراون بصوت عال . وكان بينهم بضع فتيات أنتحين جانبا من الغرفة وهن يتلقين الدروس مع الذكور بدون تفريق . وكان يترتب على كل تلميذ ان يقدم للمعلم طعامه يوما كاملا ، ابتداء من اقدم التلاميذ حتى احدثهم : وتتكرر هذه العملية حسب نتيجة قسمة ايام السنة الدراسية على عدد التلاميذ . والتلميذ الذي يصيبه الدور يحمل للمعلم

ترويقته وهو ذاهب صباحا الى المدرسة ، وصباحا يعني شروق الشمس ، مهمة تكن ساعة الشروق في اي فصل .

ثم يحمل اليه غداءه ظهرا وعشاءه مساء ، او يحمل اليه ما يكفيه لوقعاته الثلاث دفعة واحدة عند الصباح الباكر ، حسب تساهل المعلم او تعنته .

وكنا نحمل كتابنا ولوحنا واوراقنا وأقلامنا في كيس له حمائل نتمنطق به ذهابا وايابا . فالمدرسة لم يكن فيها مقاعد ولا طاولات . وكنا نجلس على الأرض فوق جلد (سلخ) نجلبه من البيت ، وقد نضع الجلد فوق صندوق فارغ من الخشب ـ والمعلم كان يجلس مواجها لنا فوق دكة يعلوها جلد او حشية صغيرة . والى جانبه عصاه يلوح بها تهديدا ويضرب بها من الاولاد من لا يحفظ درسه، او من يقترف ذنبا يعود الى المعلم وحده تقديره وتقدير عدد الضربات التي يستحقها مقترفه .

وكنا نكتب على اطباق صغيرة من الورق نضعها فوق الكتاب او على اليد ، ونتعلم الحساب على الواح صغيرة من التنك نكتب عليها بحبر محلي مصنوع من ترابة حمراء او الواح من الحجر الاسود (الاردواز) . وعندما ننتهي من تعلم الابجدية ننتقل الى كتب اصعب منها تتراوح بين اجزاء من القرآن مثل جزء (عم) ـ و (قد سمع) ـ او اجزاء من العهد القديم (التوراة) او العهد الجديد (الاناجيل) . ثم اخذت الكتب تتنوع فعرفنا مجاني الادب باجزائه الستة ، ثم بعد عدة سنوات جواهر الادب باجزائه الثلاثة او الاربعة ـ لم اعد اذكر عددها بالضبط .

وكان يترتب على التلميذ ان يسمع درسه يوميا ـ فيقف مكانه ، او يقف الى جانب المعلم ، ويرفع صوته قارئا درسه ، والمعلم يصحح له بعض الاغلاط . واذا كان الدرس قصيدة فالتلميذ يقراها بصوت عال منغم وباللهجة المتناسبة مع موضوع القصيدة ـ فاذا كانت احدى قصائد عنترة فان المدرسة تتحول الى جو حماسي تكاد تشعر معه انك في معركة . واول يوم سمعت فيه احد التلاميذ القدامى يسمع شعرا ، عدت الى البيت اخبر والدي واسأله متى سيكون في مستطاعي ان احصل على كتاب « الصياح » هذا . وافهمني ابي ان ذلك يتوقف على اجتهادي ، فمتى حفظت الكتب الصغيرة العادية انتقلت الى الكتب الكبيرة ، ومن جملتها الكتب الشعرية .

لا بد لي ان اسجل بعض التقاليد التعليمية التي كانت سائدة والتي زالت من الوجود بعد ذلك ـ كان المعلم يحمل قضيبا يضرب به من لا يحفظ درسه او من يعتدي على رفاقه او من يعصي اوامر معلمه ، او من يتكلم مع رفاقه ، واحيانا يستعمل « الفلق » وهو قضيب ربط بطرفيه حبل كالوتر فكان المعاقب بالضرب الاشد يلقى ارضا وتوضع قدمه او قدماه بين الحبل والقضيب (العصا) ويمسك بطرفي الفلق اثنان من التلاميذ ويشدان الحبل على رسغي القدمين حتى يصعب افلاتهما ، ويبدأ المعلم الضرب بالقضيب على الاخمص حتى يكتفي حسه الانتقامي او التأديبي ، وصراخ المعاقب يعلو ويعلو حتى يمزق شغاف القلب ـ وكثيرا ما كانت تدمي القدمان من شدة الضرب . وكان المعلم يضع بعض المرات تلميذين معا بالفلق الواحد توفيرا للوقت والجهد ، واذكر مرة ـ وهي المرة الوحيدة التي ذقت فيها طعم هذا العقاب الوحشي ـ انني وضعت بالفلق مع احد الاقارب ـ وكان الوقت شتاء ، وكنا نلبس جرابات من الصوف ، شغل البيت ، مزينة بخطوط ملونة حمراء وخضراء، فأخذالمعلم ـ الشيخ الوقور ـ يهزأ بجراباتنا ، واراد منا ان ننزعها ليكون الضرب اشد ايلاما ـ ثم عدل عن ذلك لانها المرة الاولى ولاننا من التلاميذ « العاقلين » فاكتفى بأن ضربنا من فوق الجرابات .

وكان المعلم يستعمل طرقا اخرى من العقوبات كالصفع و « مسك » الاذن وفركها ، كما كان يمكن تلميذا من امساك اذن رفيقه اذا اجاب عن سؤال لم يستطع الاخر الاجابة عنه .

وكان هذا يسبب عداوة بين التلاميذ وثارات تؤخذ خارج المدرسة ، وكان من حسن حظي ـ او من سوء حظي آنذاك ـ انني كنت تلميذا « شاطرا » ولذلك كثر عدد الذين امسكت آذانهم وكثر عدد خصومي وعدد « القتلات » التي استوفوها مني خارج المدرسة بفضل حصافة المعلم المحترم و « حسن » تدبيره !..

ومن الامور التي ما زلت اذكرها عن تلك الايام ، والتي كان لها اثر كبير في حياتي ، اننا استقبلنا شابا لبنانيا من اسرتنا . وكان هذا الشاب (٢) مولعا بالقراءة ، وقد ملأ خزانة صغيرة في غرفتنا الجنوبية الشرقية تسمى « الخرستانة » ملأها كتبا متنوعة واوراقا ـ فكان يقرأ هذه الكتب ويخط شيئا في تلك الاوراق ـ وبعدما اصبحت احسن القراءة صرت استعير منه قصة بعد قصة : فقرأت بسببه ـ وبفضله ـ قصة علي الزيبق وعنترة بن شداد العبسي ، وسيرة بني هلال وتغريبتهم والف ليلة وليلة والملك سيف بن ذي يزن .

وفتحت قراءة هذه القصص عيني على شؤون العالم ، قبل الاوان ، ونما حبي للاطلاع فصرت اريد ان اعرف كل شيء عن اسرتي وعن بلادي وعن الدنيا كلها : صرت اسأل عن كل شيء يخطر ببالي . فأجاب حينا ويبقى سؤالي بلا جواب احيانا اخرى .

سألت امي عن اهم حوادث طفولتي قبل وعيي فقالت ان اهم الحوادث على الاطلاق هو اصابتي بمرض في عيني ادى الى فقداني البصر مدة سنة كاملة . الى جانب امراض الطفولة الاخرى ، وان عيني لم تنفتحا بعد هذا الزمن الطويل الا بفضل كي في يافوخي اجراه لي

الصورة الشاردة

الى التي فتحت براعم الامس في الكتاب المبهم

قبلت راسك ام قبلت اوهامي | يا شهوة الحرف في افواه اقلامي
تسرين في الورق المنسي ، هائمة | على الهوامش ، في اشباح آلامي
تفتحين خيالي في براعمه | وتوقظين من الاغفاء ايامي
تخاف كفك انفاسي ... فواعجبا | من خائف ، قلبه في قلبي الدامي
رنت اصابيعك الحرى على سمعي | كما ترن على الاوتار انغامي
رايت في عينك السمحاء شاردة | تلم بالمبهم المطوي المنامي
في صوتك المنتشي صوتي وبحته | وفي شفاهك همساتي وانسامي

غرقت في الصمت.. والاضلاع هاتفة ، ماذا تقول لها اطياف احلامي
.. خجلي .. وما خجلت نفسي ، ولا كتمت اطيابها ، في غداة البوح ، اكمامي
دنيا ، هي الوهم .. كم في الوهم من متع تجسدت صورا في كف رسام

الياس خليل زخريا

شيخ خبير من ورثة الطب العربي المتناقل عبر الاجيال .

وان امراضي الكثيرة لم تشف الا بفضل شربي حليب فرس اصيل جاب لي من اسرة كان لديها فرس مرضع آنذاك ، وكان هذا من اسباب الصلات الطيبة بيننا وبين تلك الاسرة . وان المرض بلغ بي احدى المرات حد الموت وتجمع الجيران حولي ثم عدت الى الحياة باعجوبة .

وكان جدي لامي ، فندي المتني ، من اسرتنا ، اما جدتي لامي ، دلال ، فكانت من اسرة حلبية الاصل ، وكنت احب جدي وجدتي حبا لا مزيد عليه وكانا يبادلاني هذا الحب فامضي اكثر اوقاتي في بيت جدي عند اخوالي وانادي جدتي بلفظ « امي » مع اضافة اسمها تمييزا لها عن امي .

اما والدي فكانت لي معه جلسات طويلة وحكايات لا تنتهي . لم أعرف جدي لابي ، حسين ، وجدتي لابي ، حمدة ، لانهما توفيا قبل ولادتي — ولكن عرفت ان جدي هو الذي هاجر من لبنان في النصف الثاني من القرن الماضي وكانت جدتي لابي من اسرة معروفة من سكان غوطة دمشق الغربية وعرفت خال والدي الذي زارنا اكثر من مرة وكان فارسا من فرسان الغوطة المعروفين واسمه الشيخ قاسم قرقوط (ابو حسين) . وكان لي عم واحد وعمتان وكان والدي واحدى عمتي متشابهين يختلفان كل الاختلاف عن عمي وعمتي الاخرين فكأنهما فصيلتان متباينتان شكلا وموضوعا .

---

(١) تبين فيما بعد من مراجعة بعض القيود والتواريخ انني ولدت فجر يوم الاربعاء ٣ ذي الحجة ١٣٣٠ — ١٣ تشرين الثاني ١٩١٢ فكان يوم عيد الاضحى ١٠ ذي الحجة ١٣٣٠ في ٢٠ تشرين الثاني هذا .

(٢) هو السيد علي عاقلة ابو الحسن الذي توفي في دمشق عام ١٩٧٢ وهو والد الاستاذ طارق ابو الحسن .

دمشق — سعيد ابو الحسن

كيف بلغت الشيخوخة

للفيلسوف برتراند راسل

ترجمة جرجس عبده

* * *

على الرغم مما يوحي به عنوان هذه المقالة فانها تدور في الحقيقة عن الطريقة التي تحفظ للمرء روح الشباب رغم ارتفاع السن . وهو موضوع مهم جدا بالقياس الى ما عشته انا من سنوات طوال . واول ما انصحك به في هذا الصدد هو ان تحسن اختيار أجدادك بعناية . ومع ان والدي انا قد ماتا في شبابهما فقد احسنت من جهة اختيار بقية الاجداد .

فجدي من ناحية امي قد انتزع ـ وذلك حق ـ في زهرة شبابه في سن السابعة والستين ، ولكن اجدادي الثلاثة الاخرين قد عمروا الى ما بعد الثمانين . ومن الاسلاف البعيدين لا يمكنني ان اكتشف سوى واحد فقط لم يعمر طويلا ، حيث مات بمرض يندر وجوده الان اذ جز رأسه عن جسده .

وكانت احدى جداتي البعيدة من جهة امي صديقة لجيبون ، وعاشت حتى الثانية والتسعين ، وظلت حتى آخر يوم من عمرها مصدرا لفزع كل احفادها . وجدتي المباشرة لامي ، بعد ان انجبت تسعة ابناء عاشوا ، وواحدا مات في طفولته ، الى حالات سقط كثيرة ، قد كرست حياتها بعد ان تزوجت لخدمة التعليم العالي للمراة ، فقد كانت من مؤسسي كلية جيرتون ، وبذلت جهدا كبيرا في تيسير مهنة الطب امام النساء .

وكان من عادتها ان تحكي كيف قابلت في ايطاليا سيدا كبيرا كان يبدو عليه الحزن . فسألت عن سبب اكتئابه فقال لها انه قد فارق للتو حفيديه . وابدت دهشتها وهي تقول له : « سبحان الله ، ان لي اثنين وسبعين حفيدا ، ولو اني حزنت مرة عند مفارقتي لكل واحد منهم لاضحت حياتي فاجعة » .

فرد عليها « كان الله في العون يا امي » . وانا اذا تكلمت كواحد من حفدتها الاثنين والسبعين ، افضل الوصفة التي سارت عليها في حياتها . فبعد ان تخطت سن الثمانين وجدت انها تشعر ببعض الصعوبة عندما تريد النوم ، ولذلك تعودت قضاء الساعات منذ بداية منتصف الليل حتى الثالثة صباحا في قراءة العلوم الشعبية . ولست اتصور انها كانت تجد فسحة من الوقت لملاحظة انها تدلف الى الشيخوخة .

وهذه هي فيما اظن الوصفة المناسبة للاحتفاظ بالشباب . فما دامت لك اهتمامات واسعة وحاذقة يمكنك بواسطتها ان تظل محتفظا بنشاطك ، فلن تجد ما يدعوك لوضع الجداول الاحصائية الخالصة المتعلقة بعدد السنين التي عشتها والتفكير في قصر المدة الباقية في مستقبلك المحتمل .

اما من جهة الحالة الصحية ، فليس لدي شيء مفيد اقوله حيث ان خبرتي بالمرض قليلة . فانا آكل واشرب اي شيء احب ، وانام عندما لا استطيع الاستمرار في اليقظة . ولم افعل اي شيء لمجرد كونه مفيدا للصحة ، وان كانت الاشياء التي احب القيام بها حسنة في الواقع في معظمها .

ومن الناحية السيكولوجية ثمة خطران ينبغي الاحتراس منهما ضد الشيخوخة . احدهما الاستغراق غير اللائق في الماضي . فلن يفيدنا ان نعيش في الذكريات او في التحسر على العهود القديمة الجميلة ، او الحزن على الاصدقاء الذين ماتوا ، فأفكار الانسان يجب ان تتجه نحو المستقبل ، نحو الامور التي يمكن انجاز شيء منها .

وليس هذا سهلا دائما ، فماضي المرء ثقل يتزايد بالتدريج ، ومن السهل ان يفكر المرء في نفسه بأن انفعالاته قد اصبحت اكثر شدة مما كانت ، وان عقله قد صار اكثر حدة . فاذا كان هذا صحيحا فينبغي عليه نسيانها، واذا نسيت فهي غير صحيحة .

والشيء الثاني الذي يجب تحاشيه هو التعلق بالشباب على امل امتصاص القوة من حيويته . فعندما يشب ابناؤك فهم يحبون ان يعيشوا حياتهم الخاصة ، واذا داومت على الاهتمام بهم كما كنت تهتم بهم وهم صغار ، فالاغلب انك ستصبح عبئا عليهم ، الا اذا كانوا عنيدين بصورة غير عادية . ولست اقصد ان لا يكون للمرء اهتمام بهم ، ولكن اهتمامه ينبغي أن يكون متبصرا ، وان امكن فليجعل هذا الاهتمام ذا طابع انساني ، دون ان ينحدر الى الافراط في العاطفية بصورة غير لازمة . فالحيوانات تهمل صغارها عندما يمكن لصغارها ان ترعى انفسها . ولكن الناس يصعب عليهم ذلك لطول فترة الطفولة .

واري ان الشيخوخة الناجحة تكون من اسهل الامور عند اولئك الذين يملكون نواحي اهتمام غير

أصبحت همي

صبحا مساء .. انت كالتمثال — في خاطري كالحلم .. كالآمال
واذا خطرت انا ببالك مرة — عشرات مرات خطرت ببالي
اصبحت همي في الحياة وفرحتي — فرحي انا اذ تخطرين .. حيالي
صرت القنوع بنظرة وببسمة — وبلفظة وبنكتة .. وسؤال
ظل خفيف كالنسيمة منعش — وملاحة مع رقة ودلال
ظلي امامي .. ما استطعت فانني — متوله .. وعلي حبك غال
اعصابي اشتعلت وقلبي مفعم — بالحب هلا ترافين بحالي ؟
فتضاحكي وتمايلي برشاقة — او تسمحين .. ولو بلمسة شال
الآن اقنع بالقليل وانني — ما كنت يوما بالقنوع السالي
الامر صعب انني متفهم — سيظل حبك .. طي طي خيالي
يا كرة الحسون في تغريده — يا آهة الآهات .. في الموال
ان طال عمري او تقاصر انني — من بعد حبك لست لست ابالي

زحلة ـ لبنان — **رياض المعلوف**

شخصية قوية تشتمل على بذل جهود ملائمة . وفي هذا المجال تكون الخبرة الطويلة ذات ثمرة حقة ، وفي هذا المجال يمكن للحكمة الوليدة للخبرة ان تمارس دون ان تكون متعسفة . ولا فائدة من تحذير كبار الابناء من الوقوع في الاخطاء ، لانهم لن يصدقوك ولان الاخطاء جزء جوهري من التربية . ولكنك اذا كنت احد اولئك الذين لا يتمتعون بالقدرة على ان يكونوا من اصحاب الاهتمامات غير الشخصية ، فقد تجد ان حياتك ستكون فارغة ما لم تشغل نفسك بابنائك واحفادك . وفي تلك الحالة يجب ان تتأكد انك بينما تستمر قادراً على اداء خدمات مادية لهم ، كأن تمنحهم راتبا او تساعدهم على القفز الى درجة ارقى ، لا ينبغي ان تتوقع انهم سيستمتعون بصحبتك .

وبعض الناس يرهقهم شعور الخوف من الموت . وعند الشباب يوجد مبرر لهذا الشعور . فالشبان الذين لديهم سبب للخوف من انهم سيقتلون في الحرب يحق لهم الشعور بالمرارة حين يفكرون بانهم قد خدعوا في خير ما تقدمه الحياة . ولكن عند الرجل العجوز الذي عرف مسرات الحياة واحزانها ، وحقق من الاعمال ما في وسعه اداؤه ، يصبح الخوف من الموت امرا حقيرا مشينا . وافضل طريقة للتغلب عليه ـ كما يبدو لي على الاقل ـ هي ان تجعل اهتماماتك بالتدريج أكثر اتساعا واكثر تجرداً عن الميل الذاتي ، حتى تتقهقر شيئا فشيئا جدران ذاتك الانانية ، وتصبح حياتك بالتدريج مغمورة في الحياة العامة . فوجود الفرد البشري ينبغي ان يكون اشبه بنهر ـ صغيرا في بدايته ضيقا بما يحتويه بين دفتيه في مجراه ، ومندفعا عارما في تدفقه عند مصبه . وبالتدريج يزداد اتساع النهر ، ويتقهقر الشاطئان ، وتجري المياه اكثر هدوءا ، وفي النهاية ، ودون انقطاع ملحوظ ، تصبح منغمرة في البحر ، وتفقد دون عسر وجودها الفردي . فالرجل الذي يمكنه في الشيخوخة ان يرى حياته على هذه الصورة ، لن يعاني الخوف من الموت ، ما دامت الامور التي يهتم بها ستستمر .

واذا زاد الانهاك بانحلال الحيوية فالتفكير في الراحة لن يكون غير جميل . واتمنى ان اموت وانا اقوم بالعمل ، عارفا بان غيري سوف ينهض بما لم اعد استطيع المضي في عمله ، وقانعا بالتفكير بان ما كان ممكنا قد تم .

القاهرة — **جرجس عبده**

وحبك منتهى عمري

انا .. ما سرت عند النيل
في اشراقة الفجر
واسمعك النسيم العقب
انغامـا من الطهر
وغنى الطير الحان الهوى العذري
فبوحي .. ليس غير الحب
والاشواق في صدري
وقلبي ما يزال يحن ..
رغم سحائب الضر
وفي دنيـاي احـلام
بآمـال الهوى تغري
فانت نشيد الهامي
وانت هنـاء ايـامي
وحبك .. منتهى عمري

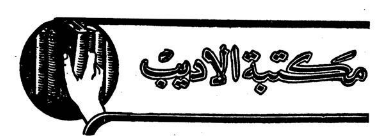
*

اذا ما غرد العصفور انغاما عن الحب
وفاض بقلبك الخفاق
الحانا عـن القرب
فبوحي بالهوى المكتوم
ان الحـب يطوينـا
وغني للنسيم الرطب فالدنيا تنادينا
ولن نقوى على الهجران
رغم زماننا القاسي
فانت منارتي .. وهواك نبراسي
ومنك تفيض انواري
وادرك موكب السحر

*

اذا ما اورق الغصن ..
وضـوع بالشذى الزهر
وعـادك ذكر ايـامي
وفاض بقلبك الفكر
فعودي .. لا ازال هنا
اقص على الربى امري
واحكي كل احلامي
واسكب فيك انغامي
فانت سعادتي لو زاد بي ضري
وانت لقلبي المحروم آيات من الفخر
اردها .. ارتلهـا
اداعبها .. اجملها
واحفظها مع الاشواق في صدري
فانت رفيق ايامي
وفيك يضوع الهامي
وحبك .. منتهى عمري

عبد الله السيد شرف
مصر



يوميات اكرم زعيتر
الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٣٥ - ١٩٣٩

مؤسسة الدراسات الفلسطينية ببيروت - السلسلة رقم ٥٥ - ٦٦٠ صفحة.

- يا محمد ! يا محمد !
- ....
- يا محمد ! يا محمد !
- ....
- يا محمد ! لقد صببت الطعام . تعال قبل ان يبرد .
- ....

ثم جاءت زوجي الى غرفة مكتبتي مذعورة . ولما رأتني منصرفا الى القراءة ، قالت :

- ظننتك تصلي الظهر .. ما هذا الكتاب الذي تقرأه بهذا النهم العجيب ، والاندماج الغريب ؟

- انه يوميات صديقي اكرم زعيتر .

- حقا انه كتاب ممتع . لقد سبقتك الى قراءته من الدفة الى الدفة .

لقد وفت الكتاب حقه من التقريظ ، ثم رأيتني لا اذهب الى سريري تلك الليلة ، الا بعد ان صليت الفجر ، وانا متنبه الاعصاب، بعد ان سلخت بضع عشرة ساعة في قراءة هذا الكتاب الدسم بمادته الشامل باخباره عن الجهاد الفلسطيني المتواصل ، واخبار المناضلين الفلسطينيين من الاهل والاصدقاء ، الذين زجوا في السجون والمعتقلات ، والذين التقيت بعضهم في دار حنضل ببيت لحم ، وعرفت البعض الاخر ، وهم يضحون بالنفس والنفيس في سبيل انقاذ فلسطين الحبيبة .

تحس وانت تقرأ الكتاب ان مؤلفه قد جعل نور الصدق ينبعث من كل حرف من حروفه ، وصير كل قارىء من الذين لم يعيشوا احداث فلسطين المجاهدة الكبرى كما عشناها ، صيره يراها كأنه عاشها بنفسه ، او كأنه يرى شريطا (فلما) سينمائيا يتابع تلك الاحداث العجيبة التي جرت في فلسطين ، بعد ان صور كل منها حال حدوثه ، وعدسة المصور لا تستطيع ان تزيد في رواية ما تراه او تنقص ، وليت السنتنا تقتدي بها في رواية ما تراه عيوننا دون زيادة او نقصان ، اذا لم اقل دون اختلاق .

كل من يقرأ هذا الكتاب النفيس يستطيع ان يرى كيف ضحى عرب فلسطين الانجاد بكل ما لديهم في سبيل الدفاع عن وطنهم المقدس، والحفاظ على ارضه ، بصورة رائعة لا يكاد يصدقها عقل ، حتى تستطيع ان تقول ان الفلسطينيين زرعوا في كل متر من الارض جثة شهيد ، ورووا كل شبر منها بالدماء الطاهرة ، بحيث بذوا جميع شعوب الارض ، التي بذلت الارواح لنيل بلادها استقلالها .

اعادني اخي اكرم القهقرى بضعة واربعين سنة ١٩٣٥ - ١٩٣٩ ، ليريني كيف استشهد القائد البطل الشيخ عز الدين القسام ، وكيف حاول الضابط البريطاني المجرم سيكرست اهانة اصدقائي المغفور لهم الشيخ حسام الدين جارالله، ونسيبي وصديقي شهيد القسطل عبد القادر الحسيني (ابو موسى) ، وجاري الشيخ سعد الدين الخطيب (ابو زياد)، وزميلي الاستاذ جلال زريق (ابو خالد) ، وامين بك التميمي ، وطبيب اسرتنا الدكتور عبد الله المغربي ، وكيف انتقم لهم نسيبي الاستاذ الشاب الشهيد سامي ابراهيم الانصاري، فاطلق عليه الرصاص ، قبل ان استشهد ، وجعل يعيش مشلولا بقية حياته ، في بلاده .

وذكرني بالاضراب الفلسطيني العظيم عام ١٩٣٦ ، والذي دام ١٧٨ يوما ، وكان اطول اضراب عام شامل في تاريخ الشعوب ، منذ سجل التاريخ الى يومنا الحاضر ، مما دل على مناعة قومية شديدة في عرب فلسطين الاشاوس ، ذلك الاضراب الذي ضحى فيه العرب بعشرات الملايين من الجنيهات ، خسروها في زراعة الحمضيات خاصة، وفي التجارة والصناعة عامة .

وذكرتني تلك اليوميات الرائعة باسبوع القرى الناجح ، ومؤتمر اللجان القومية الذي وحد القلوب والزنود ، ومجيء فوزي القاوقجي، وقيادته الثورة المنيفة ، ومناشدة زعماء النصرانية العرب زعماء العالم المسيحي مؤازرة عرب فلسطين ، الذين تحاول بريطانيا تسليم بلادهم، ومحاربة الاطفال الانكليز (بفتح الزاي) المستعمرين ، حتى راحوا يطلقون الرصاص عليهم من الغابات ، ويرد عليهم الانكليز ، الذين اعتقلوا صبيا جرحوا رجله برصاصهم عمره تسع سنوات . ولن انسى ذكر طفلي فران مسيحي في حي القطمون ، الذي كنا نسكنه في القدس، الطوان وهو في نحو الثامنة من عمره ، واخته وهي في نحو السادسة اللذين راحا يبلعان المسامير انتحارا ، لكي لايسيطرالدخلاءعلىفلسطين، ويفرضوا عليهما العيش في ظل حكمهم . ولولا ان قيض الله من رآهما واخبر والديهما بذلك ، فاخذهما الى صديقي الدكتور فوتي فريج ، واخرجت المسامير ، ونجوا والحمد لله . وكنت قد اعتقلت في المرة الثانية مع اخيه المجاهد عطا الله فريج في ليلة واحدة .

ومما جاء في تلك اليوميات التي تثلج الصدور ، تحمس اخواننا في الاقطار العربية كافة لقضية فلسطين تحمسا نادر المثال ، فقد عقدت لجنة التبرعات لمنكوبي فلسطين الحرة في الموصل اجتماعا ، دعت الى حضوره اصحاب المهن ، وكان من جملة المدعوين السيد احمد حداد ، الذي تبرع بدينار واحد لاسر المنكوبين ، وكان ذلك تبرعه الثالث ، ثم ترك الاجتماع ، وذهب الى منزله ، وعاد ومعه ابناه : طالب وعمره عشر سنوات ، وعادل وعمره ست سنوات ، وعرض على المجتمعين ان يشتروا احدهما ليقدم ثمنه تبرعا لفلسطين المجاهدة ، لخلو جيبه من الدراهم ، وهو الفقير الحال . ويعلق الاستاذ اكرم على ذلك بقوله : « فيا لله من ذلك المنظر الذي جمع بين السرور والالم ، اللذين اوقدا في قلوب المجتمعين اتونا من الحماسة المتاججة نيرانا بين الاحناء ، فكنت ترى ذلك الطفل ، الذي لم يبلغ من العمر السادسة ، يطوف على السادة المجتمعين قائلا : هل فيكم من يود شرائي من والدي ، الذي عزم على تقديم ثمني تبرعا منه الى فلسطين؟ وما كاد ينتهي من كلامه في الحفل ، حتى تلاقفته الايدي ، وكل من المجتمعين يود تقبيله . ونزيد على ذلك بان البعض لم يتمالكوا انفسهم

من تأثير ذلك المنظر ، فاجهشوا في البكاء فرحا بتلك الروح السامية، المتمثلة في نفس ذلك الطفل » .

وانا عندما قرأت تلك الحادثة الرائعة ، حذوت حذو اولئـك الاخوة الفضلاء ، وتشبهت بهم في الهاب خدي بالعبرات السخية ، والتشبه بالكرام فلاح .

وفي يوميات خطيب الضاد المفوه الاستاذ زعيتر ، ورد ذكر بعض آثام الضابط الكبير غير الفلسطيني حليم بسطه ، نائب مدير الشرطة الشمالي (حيفا) ، وكيف اخفقوا في اغتياله اولا ، ونجحوا في القضاء عليه بعد ذلك . وقد سر عرب فلسطين قاطبة باغتياله ، لانه كان عدوا لدودا للعروبة والعرب ، وجاسوسا كبيرا يعتمد عليه اسياده الانكليز في ايذاء العرب ، والوشاية بهم ، واحباط ما يستطيع احباطه من تآمرهم على الدولة المجرمة المنتدبة ، وابنتها المدللة .

وفي اليوميات ان الهند جعلت يوم ١٥ ايلول ١٩٣٦ يوما لفلسطين جمعت فيه التبرعات بسخاء لمنكوبي الاضراب الطويل . وقد ذكر لي الاستاذ رجا حوراني انه كتب رسالتين بهذا الشان الى جواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند العظيم ، رد نهرو على ثانيتهما بتاريخ ٢ تشرين الثاني ١٩٣٦ ، قائلا ان الهند كلها لبت نداء فلسطين . ولما علمت حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين بالامر ، طردت رجا حوراني من فلسطين ، متذرعة بعدة اسباب ، منها هذا السبب . وقد كان رجا يدرس في كلية روضة المعارف الاهلية بالقدس ، قبل ان اعـاده البريطانيون الى بلده لبنان . وهذا يرينا كيف كانت فلسطين تفتح صدرها لابناء الاقطار العربية الشقيقة ــ ومنها لبنان ــ وكيف كانوا يحاربون الاستعمار مع اخوانهم عرب فلسطين ، الذين احلوهم القلوب ورضوا بهم رؤساء لبعض الدوائر الحكومية الكبرى ، واساتذة يربون اولادهم و فلاذ اكبادهم .

وفي اليوميات كيفية اعتقال الاستاذ اكرم زعيتر في معتقلي عوجة الحفير وصرفند مع نخبة من اخوانه الاخيار ، الذين كان جلهم من اصدقائي الخلص . وفيها وصف للكوخ المتواضع الذي كان يؤويهم ، والمعاملة غير الانسانية ، التي كانوا يلقونها من الدولة البريطانيـة الراقية ، التي لم تنتدب على عرب فلسطين الا لتوديهم في ارتيـاد حياض المدنية والعلم والنظام والفن ، ولكنها اوردتهم موارد التجهيل والافقار والتشريد والفوضى .

وقد اعجبتني حملة الاستاذ زعيتر الشعواء على هور بليشا ، وزير الحربية البريطانية ، الذي امر الجيش البريطاني الباسل ، المدجج بالسلاح الفتاك ، ذلـك الجيش الذي كان الامر الناهي في فلسطين آنذاك ، امره بالبطش الوحشي العنيف بالفلسطينيين العزل من السلاح ، شيوخا وشبانا ونساء واطفالا .

واعجبني ذكره مقتل حاكم لواء الجليل ، الانكليزي ، المستر اندروز مع حارسه الانكليزي ماكوين فراي ، اللذين قتلهما فلسطينيون مجهولون . وكان ذلك الحاكم عدوا لدودا للعرب ، وصديقا حميمـا لليهود الذين تضاعف عددهم في فلسطين اكثر من عشر مرات ابـان الانتداب البريطاني البغيض .

وعندما قرأت اسماء الذين اعتقلهم الانكليز من عرب فلسطين ، خيل الي ان الاستاذ المؤلف اكتفى بذكر اسمـاء الذين زجـوا في المعتقلات البريطانية الشمالية . اما الذين زجوا في المعتقلات الوسطى والجنوبية ، فلم يرد لهم ذكر ، واعرف منها معتقلي دار جاسر ودار حنضل ، اللذين كدسونا فيهما مع عدد كبير من المسيحيين الفلسطينيين ومسلميهم ، كما يكدس السردين .

ومن حسنات هذا الكتاب ان في نهايته دليلا دقيقا جدا لجميـع الاعلام الذين ورد ذكرهم في الكتاب ، مع ارقام الصفحات التي وردت فيها تلك الاسماء ، وعدد المرات .

ومن حسناته ايضا انتهاؤه بتسع عشرة صفحة حافلة بالصـور التذكارية الواضحة ، والمطبوعة طبعا انيقا على ورق صقيل ممتاز .

ولن اطيل على القارىء الكريم ذكر روائع هذا الكتاب الكثيرة ، واناقة لغته وصحتها ووضوحها وبلاغتها ، والمتعة العظيمة التي فزت بها وانا اقرأ تلك المشاهد الرائعة من الجهاد الفلسطيني ، التي رفع بعضها راسي عاليا ، واستدر دموعي السخية بعضها الاخر .

وفي الختام اهنىء اخي الحبيب الاستاذ اكرم على كتابه النفيس هذا ، حاثا اياه على تزويدنا ببقية يومياته الممتعة ، ومقترحا عليه عرضها على شركة عربية ، لعمل مئات المشاهد السينمائية الملونة ، وعرضها على العالم كله ، ليرى نموذجات فذة من البطولة ، قام بها الفلسطينيون لانقاذ بلادهم .

بيروت : شارع الجامعة العربية
بناية الاسكندراني رقم ٣

محمد العدناني

★ ★ ★

عشر قصائد الى عينين

للشاعر المهندس اخلاص حسني

سبعون قصيدة تحمل ثورة في الشكل الفني ، وثورة في المضمـون الشعري ، وثورة في التجارب الوجدانية ، ويتضمنها ديوان جديـد للشاعر المهندس اخلاص حسني ، الذي لا ينسى مهنتـه في شعره ، فيكتب قصيدة يسميها الخروج من مثلثات الرعب ، ويقول في قصيدة اخرى : انثري عينيك من كل الزوايا ، ويقول في قصيدة ثالثة مـا يقول : عن مساقط البناء والقطاع ، والواجهات الاربع ، ويقـول في قصيدة اخرى :

وهذه الرسوم كلها
من سحرها
من انعكاس فكرها

اما في الشكل الفني : فيضمن الشاعر تجاربه قصائد عمودية ، وقصائد من الشعر الرسل الموزون ، مثل قصيدته « افراح العودة »، وقصائـد حـرة ، وقصائـد اخرى تجمـع بـين الشكـل العمودي والتجارب الحرة ، مثل قصيدته « رحلة داخل عينين » ، وقصيدته « ذكرى عيون » .

والغريب في موسيقى الشاعر العمودية انه يعزف على ثلاثة اوزان شعرية فيجيد العزف كل الاجادة ولا يقصر عن مدى الشعراء الذين يعزفون على كل وتر ويغنون على كل عود : وهذه الاوزان الثلاثـة هي الكامل والرمل والمتقارب .

واما من حيث المضمون الشعري فهو المراة والحـب والصبـا والشباب والجمال ، وكانما المراة استحالت عنده الى ساحرة ، يصبح هو امامها مسلوب الارادة لا يملك الا ان يهوى .

واما من حيث التجارب الوجدانية فان هذا اللون من الحـب العذري ، الذي يحرق بنار الهوى والجمال مع انه في الاصل حب مادي ، يعد ظاهرة للحب الرومانسي العنيف عند الشعراء الهائمين في اودية الجمال والهوى .

وماذا اختار من قصائد الديوان السبعين ، وكلها يدعوك للاختيار لا ضير في ان اقف بك على قصائد اربع :

اولاها : قصيدته « جسر على طريق العودة » وهي من المتقارب وفيها يمتزج الحب بالفكر والنفس والحياة :

بمليون طلعة بدر تغني
على مشرق الشمس في جبهتك
بسحر الروابي يمور ويزهى
ويسمو ليسطع من مقلتك
الى ان يقول في ختامها :
فسحر الطيور وشدو العطور
وعزف الجداول في همستك .

وثانيتها قصيدته « حبيبي انا » التي تمزج بين الطبيعة والحب، والتي خرجت ملحمة رائعة لقصة حب فريدة ، لشاعر قلق حائر لا يستقر على حال ولا يبرأ ن ملال ، وفي مطلعها يقول الشاعر :

وجاء الربيع شباب الفصول
ضحوك الروابي مضيء الحقول
يفجر في النفس نبع الفصول
لسر الليالي وسحر الحيـاة .

ويقص فيها الشاعر ذكريات حبه وحبيبته في شجو وشجون ، يكادان يعدان اسطورة من الفنون . والقصيدة « حبيبي انا » جديرة بالوقوف عندها طويلا لمسحتها الملحمية ، ولشبهها بمـــلاحم ناجي العطرية ولبساطة وروعة الصور فيها .. لولا ضيق المجال والقصيدة الثالثة هي « يا سمراء » :

انت يا سمراء فيك
اي سر ، لست ادري
عينك النجلاء فيهـــا
اي سحر ، لست ادري
انت يا سمراء فيك
فتنة الشرق الحبيب
عينك النجلاء فيها
ومض حب لا يغيب
وفيها لفح نار المهجرين وحيرتهم

والقصيدة الاخيرة هي قصيدته الباكية الفاتنة « امس الفائم » التي تحمل لهفة المحب على ذكرى حب ، واطلال غرام ، وفيها يقول الشاعر :

ضاع مني ليته ما ضاع مني
ضاع مني الامس ضاع الامس مني
غاب هذا العالم المسحور عني
لم يعد في خاطري غير التمني
انه شعري واحساسي وفني
انه الخلد الذي فيه اغني
ضاع مني فاذرفي يا ادمعي

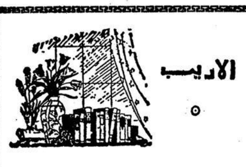
ومن قصائد الديوان الجميلة قصيدة « الى زميلة » التي ينصح فيها الشاعر المهندس اخلاص حسني الفتاة ، التي تزامل الشباب في مجال العمل بان تعرف لقلبها قدره وتصونه لا تذله لبعض الخادعين:

احذري في موكب الحب فتى
ناعم الاطراف مصقول الجبين
بربري اللفظ مفتون الخطى
يظهر الاعجاب في ذل مهين

وهي قصيدة رائعة حقا ، ويا ليت فتياتنا يجعلن منها شعـارا لهن في الحيــاة .

ومع ما في هذا الديوان من جديد التجارب الشعرية الهامة ، نرى الشاعر المهندس يقفز فيه قفزات صعبة في طريق الرمز وابعاد الخيال والإستعارة ومحاولة اضاءة الصورة وغرابة المعنى .

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ٥٠ ليرة لبنانية

●

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٣٠٠ ل.ل.

●

في الخارج العربي : ١٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

سائر الاقطار :

٥٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية : ١٠٠ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج ٢٠٠ ل.ل. او ١٠٠ دولار كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء انشرت ام لـم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

☎ الادارة : ٢٢٣٨١٩ — Dir. 223819
☎ المنزل : ٢٢٥١٣٩ — Dle. 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب — صندوق البريد رقم ٨٧٨—١١

بيروت — لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

ومن العجيب ان التقي مع ديوان الشاعر المهندس اخلاص حسني ديوانا جديدا ايضا للشاعر اللبناني الدكتور فوزي عطوي عنوانه « الموج في جزيرة العيون » ، ويحمل مضامين شبيهة بمضامين الشاعر المهندس ، مع اختلاف النغم ، والحرص على العمودية ، وعندما نقرأ للشاعر الدكتور فوزي عطوي من قصيدته « لست من النساء » :

هبطت الي فاضطرمت دمائي
كأنك من ملائكة السماء
اتيت وبي بقايا كبرياء
فلم اذكر بقايا كبريائي
ولما ان قلقت منك هدب
حسبت الليل مرتعش الضياء

ونقرأ للشاعر المهندس :

عيناك يا اسطورتي
نجمان في وضح النهار
يتلألآن
يتألقان
ويشمشمان
دنيا يموج بها الحنان

نشعر ان الالتقاء الروحي بين الشاعرين حول جمال العيون قد الهم هذا بفلسفة ، والهم ذلك بفلسفة اخرى من الحب وعذرية الهوى وطهر الشباب والجمال .

القاهرة — محمد عبد المنعم خفاجي

* * *

الطائران والحلم الابيض

مجموعة شعرية ـ لمصطفى النجار ومحمد علي الرباوي

ما زالت امسياتنا القهرية موصولة ، برغم قتامة ايامنا ، والحزن القدر في احنائنا . يقولون : غاص نبع الشعر ، واصبح الى النظم اقرب منه الى اصالة الفن ، وعمق التجربة ، وثراء الوجدان . وتكاد امسياتنا الشعرية تخلو من الشعراء ، وتعج بالمتشاعرين ! لكن نايا شجيا ياتيني من حلب الشهباء ، على بعد المسافة ، الا ان الاذن ترهف السمع لنايه الشجي . فما زال طائرنـا الحلبي (مصطفى النجار) يتغنى بالحب والبراءة ، وسط الحنان الزيف والرياء ، ما زال النجار ، طائر الحب والاشواق ، يطير في سماء حلب ، صادحا باغانيه ، وما زلت مبثوث الصلة باشعاره ، فاحمد له هذه الروح الفتية التي لا تواتي الا الشاعر المبدع .

وصلتني منه مجموعته الشعرية (الطائران والحلم الابيض) ، التي شاركه فيها اخونا الشاعر المغربي محمد علي الرباوي . والشاعران من الطيور الادبية المحلقة في سماء الادب العربي . طائر من المشرق وطائر من المغرب ، يحلقان معا ، فيحققان لونان من الوان الوجدان العربي المشترك . ان الفن ـ والشعر خاصة ـ يتجاوز سلبيات واقعنا العربي المرير ، ويكون تقدميا ، طموحا ، يسمو ويحقق ما لم تستطعه السياسة . ولا مشاحة في هذا ، فالشعر لغة الوجدان ، وهذه اللغة اقرب الى نبض الشعوب . فالشعر يمثل همزة الوصل ، وقنطرة العبور ، مجتازا الاميال والفراسخ ، متحديا الخلافات والمنازعات .

في قصيدة (شموخ البراءة) يعود الشاعر الى غنائيته المحببة ، وان كان قصير النفس ، وكان المرجو ان تمتد ابياته ، اثراء للتجربة النفسية التي يعيشها . ولعلها اعراض مشتركة ، فنجده يلجأ الى التكثيف دون الافاضة . فتاتي بعض احاسيسه غير مشبعة وجدانيا ، اشبه بالاسلوب البرقي المختزل ، ولعله بهذا يعكس روح عصرنا السريع التغير . لكني آمل ان تكون وجدانياته ثراء لنفوسنا ، فحين نتفيأ بظلال دوحة الشعر ، نحب ان يطول مكثنا تحت هاتيك الظلال . تجذبنـا (شموخ البراءة) بمطلعها :

يا حلوتي عاشق فيك الجمال الندى
نامت عيون المدى الا الفؤادي الصدي
يا حلوتي طائرا جئت ابي الوتر
الصدق من شرعتي والحب والمنتظر
والشوق من جانحي ـ يا حلوتي ـ يستعر

وفي قصيدته (سرب جلنار الى بلادي) يعمق تجربته ، فتتكامل التجربة الشعورية لتعطينا نبضا دفاقا لشاعر يتغنى بحب بلاده ، دون الانزلاق الى الخطابة ، او التدني الى دهاليز السياسة .

وفي قصيدته (ابحث عن قيس اخر) ، يعقد مقابلة ذكية بين رومانسية قيس في حبه العذري ، وواقعية القرن العشرين ، يقول في هـذا :

انمشي في اروقة الزمن الغابر
سمعت اذناي نشيدا يتهادى ..
من قيثار الصحراء الى قلبي
« آه يا ليلى اني مجنون »
فارتعت ...
وطرت حمامة حب حطت في « دغل » القرن العشرين ؟
واختلطت آهات الحب بآهات الخبز
وخزامى الصحراء
بدخان الانتاج الذري ؟
آه يا قيس فكم انت ضحية ؟!

ويمضي شاعرنا في المقابلة الذكية بين الخيال والواقع .. لكن المقابلة يغلب عليها طابع الفكرة المنطقية ، مما جنى على لغة الشعر الوجدانية .. وهو توازن دقيق بين القصيدة كفكرة ، والقصيـدة كتجربة وجدانية .. والمنزلق الخطر في هذا ان تسيطر الفكرة على الشاعر ، فتؤثر بالسلب على لغة الشعر الاولى ، وهي الوجدان ، فتاتي قصيدته اشبه بسطور نثرية في الاغلب الاعم ، او تاتي بعض تعابيره او كلماته غير مناسبة للغة الشعر . ولعل تعبيره « بدخان الانتاج الذري » القريب من اللغة العادية ، خير مثال على ما اقول .

كذلك نجده ينزلق ـ تحت تاثير الفكرة المسيطرة ـ الى الخطابة والتقريرية . نلمس هذا في ختام القصيدة :

يا قيس ويا قيس المجنون
الركبان وسيارات السفر الحضري
بجع الايام القادمة
تاريخ الافراح النبوي
ترجوك وترجو منك الاجهاز على الاحزان
ترجوك وترجو منك الصحو وتحرير الانسان

هي دعوة مباشرة يرتجلها الشاعر سطورا بعيدة عن روح الشعر ، قريبة من اسلوب النثر الخطابي التقريري . ولعل مبعث هذا كما قلت ، هو ما نرجوه من توازن دقيق في الصياغة ، بحيث يعبر الشاعر عن فكرته ، متفاديا ان تكون الفكرة مؤثرة على لغة الوجدان . ومن ايسر الامور ان نعبر عن افكارنا ، لكن العسير هو العثور على الشعر الوجداني قلبا وقالبا .

على ان الشاعر يعوضنا عن هذا بقصيدتين اخريين هما : (للاغصان قرار ؟) و (القراءة والماء) .. فنجد فيهما هذا التوازن الدقيق بين الفكرة واللغة الشاعرة . ونجد الكلمات السلسة الطيعة ، يسوقها الشاعر دون تكلف . وهما من اجود قصائد المجموعة .

وما زلت اكرر ان شاعرنا مطبوع على الغناء . وتبرز نـواحي ابداعه في غنائيته المحببة . وخير مثال لهذا تلك الابيات من قصيدة (بطاقة الى حب دائم) :

نادیتـك يـا حبي البـاقي ودفنـت شـذاك باعماقي
يـا وردة حـب منسي ناديتـك تشهـد اوراقي
فاكاد أ لـوب علـى الذكرى من بعد ضيـاع الاشـواق

★ ★ ★

اما الطائر الثاني ، فياتينا من المغرب . غناؤه يختلف جد الاختلاف عن غناء المشرقي ، رغم ان مجموعة واحدة ضمت اشعارهما. فالرباوي المغربي ، يغلب على شعره الاسلوب القصصي . وبصفة عامة يتارجح شعره بين الشعر الغنائي و الشعر الوصفي والقصصي، ويتجه بفطرته نحو العمق ، وسيلة يرتقي بها سلم الوجدان .

احيانا نجده شفيف الرؤى ، واحيانا نجده واقعيا الى ابعد مدى . فمن الشفافية التي تجعله يحلم وسط « سنابـل القمر » واودية الجنة والزهور .. الى تلك الواقعية التي تجعله يهبط من علياء سماء الحلم ، ليحدثنا عن الفول الذي يبول على حائط بيتـه الصغير ، ويحدثنا عن « سرور » الذي ..... وراء البيت !

واعجب ما نراه في شعر الرباوي هو التارجح بين الرومانسيـة والواقعية ، وليس بينهما لغة وسط ، وكاننا نقرا لشاعرين مختلفي المنحى والاتجاه . وازاء هذا التناقض ، يمكننـا القول بان الربـاوي يعيش لحظة الحلم ، كما يعيش لحظة الواقـع . يجتذبه الحلم بشفافيته ، فيحلق في سماوات علية ، وتتمازج اشعاره بترتيـلات ملائكية .. ثم يشده الواقع بمرارته وماديانه ، فيجد نفسه ، اذ هو يعيش واقعه ، يختصه بنماذج شعرية .

فالرباوي صوتان للشعر ..

الصوت الحالم ، كما في قوله :

احلم يا عزيزتي .. حلمي الكبير

والوقت جدول صغير

الحلم يا عزيزتي اكبر من هذا الزمان

ونحن فيه زهرتان

فوقهما فراشتان

ثم يردنا الرباوي الى قسوة الزمان ، معبرا عن مخاوفه وقلقه. الصوت الثاني تعبير عن معاناة الواقع . يقول عن نفسه :

مسافـر وناقـتي تبحث عن جرعـة مـاء
لا شيء في حقيبـتي سوى قصـائد الرثـاء
امشي يقـودني القمر الى جزيـرة الكـروم
والقلب اضنـاه السفـر ومـل رقصـات النجـوم

في البيتين الاخيرين ، جواب لتساؤلنـا عن سر تارجحـه بين الرومانسية والواقعية . فالقمر يجتذبه الى جزيرة الكروم ، لكنه مسافر منهك ملول . ولعله في هذا مضطر الى مسايرة واقعه ، فيحدثنا عن حائطه الطيني الذي « بارز الرياح » وسخر من غدر الزمان . لكن « الفول » يدنس حائط بيته ببوله . والفول شيء خرافي يرمـز للخوف والرعب . ويسترسل الرباوي في واقعيته فيحدثنا عن (الفلاح الذي اتعبته القفة) .. مجافيا بهذا لغة الشعر ، منتهجا اسلوبا قصصيا واقعيا ، يطعم به شعره . ولعله حريص في هذا ان يكون رومانسيا في آن ، وواقعيا في آن آخر .

وتعتبر قصيدة (حلم فارس من بني عبس) من اجود قصائـد المجموعة . يقول في مطلعها :

لانني عبد غليظ الشفتين

لان وجهي اسود مثل سواد ليلتين

لان انفي افطس يخجل حتى الابوين

لان شعري مثل قشرة الشجر

قالوا : الدخول يا حبيبتي الى مملكة العشق الى حدائق الصباح يحتاج الى جواز !

حسبي احب حسنك السامي وحبي لا يحد ؟

حسبي عرفت نسمة الله الصمد

يوم سكنت اضلعي الى الابد .

واجمل ما في مجموعة (الطائران والحلم الابيض) انها جاءت ثمرة لقاء بين شاعرين عربيين ، يحلقان في سماء دنيا العرب بجناحين خفاقين : جناح مشرقي وجناح مغربي . يعلنان بحروف نورانية ان وحدة الوجدان العربي قد تاصلت عبر عصور التاريخ المختلفـة ، وانها حقيقة واقعة في عصرنا .

ومهما حاول الفرقاء الغرباء عن ديارنا تحقيق سياسة التباعد ، فان قلوبنا ما زالت تنبض نبضا عربيا خالصا .. وتعلن في اباء وعزة اننا امة عربية واحدة ، ولتؤكد على اننا امة شاعرة ، وان الشعر ديوان العرب .

القاهرة حسني سيد لبيب

★ ★ ★

اوراق من عام الرمادة

شعر ـ حسين علي محمد ـ ٤٠ صفحة ـ العدد ٤
سلسلة « اصوات » ـ القاهرة ـ نوفمبر ١٩٨٠

هذه هي المجموعة الشعرية الخامسة للشاعر حسين علي محمد بعد مجموعته الاولى « حوار الابعاد » ١٩٧٧ و « السقوط في الليل » ١٩٧٧ ، و « ثلاثة وجوه على حوائط المدينة » ١٩٧٩ ، و « شجرة الحلم » ١٩٨٠ .

وقد ضمت هذه المجموعة اثنتي عشرة قصيدة من قصائده الاخيرة نشرت جميعها في « الشعر » و « روز اليوسف » و « الاديـب » و « الثقافة » .

يقول في اول قصيدة :

هذا انا

وحدي هنا

خلف الجموع

الجوع يقتل ناقتي

والشوق يعصف بالضلوع

ويستوحي في هذا الديوان جوانب تراثية مثل « عام الرمادة » و « بلال بن رباح » في قصيدته « ترنيمة بلال » و « غيلان الدمشقي » و « شاعر اشبيلية العاشق » . ويهدي ثلاث قصائد الى ثلاثـة شعراء معاصرين هم : نجيب سرور وسميح القاسم ومصطفى النجار .

واذا كنا بدأنا رحلتنا مع مقطع حزين من قصيدة (اوراق من عام الرمادة) فاننا ننهي هذا اللقاء بالمقطع الاول من قصيدة (قنديل الحلم) ... حيث نرى الامل الاخضر رغم عوامل الاحباط :

حط الليل على نافذتي

هذا قنديل الحلم

فقومي يا حبة قلبي ..

والوجع الليلة حلو

والطفل القادم لن نتركه للوحل

الليلة لن اخشى شبح الموت فتيا يتهددني

لن تبصرني بعد الليلة اتقزل في الصمت

فقد خبات الصبح بثوبي

لن انتظر طويلا

القاهرة ماهر احمد علام